موقف علماء الغرب الإسلامي من منتقصي الصحابة رضي الله عنهم

د. عبد الله البخاري

ملخص البحث

مضت سنة الله بإرسال الرسل مبشرين ومنذرين كلما ظهر الفساد، وانطمست أنوار الرسالات الربانية، فكانت البعثة المحمدية لخاتم المرسلين وخيرة خلق الله أجمعين من هذا الباب.

ولأن الرسالة كبيرة والأمانة ثقيلة، اختار الله له أصحاباً وحواريين من بين الخليقة، والله أعلم حيث يجعل رسالته، فرباهم إمام المربين تربية أصبحوا معها يُقدِّمون خدمة الرسول والرسالة على أنفسهم والناس أجمعين.

ولما انتشر نور الإسلام بدأ الكيد له من قبل من سقطت عروشهم، وذهبت ممالكهم، فسلكوا كل مسلك للنيل منه ومن أتباعه، فكان مما أوحت به إليهم شياطينهم من الجن والإنس: تقمص الإسلام ثم هدمه من داخله، وذلك بالطعن في الحلقة الأولى من حلقات الاتصال بين الأمة الإسلامية ونبيها الخاتم، وهي حلقة تمثل جيلاً إذا أُسقطت عدالته سقط الدين كله، وهذا هو هدفهم المنشود.

وهو ما أشار إليه الإمام أبو زرعة الرازي رحمه الله حيث يقول: «إذا رأيت الرجل ينتقص أحداً من أصحاب رسول الله د فاعلم أنه زنديق، لأن الرسول د عندنا حق، والقرآن حق، وإنما أدى إلينا هذا القرآن والسنن أصحاب رسول الله ﷺ، وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة، والجرح بهم أولى، وهم زنادقة».

ولخطورة هذا الكيد كان المسلمون له بالمرصاد منذ البداية؛ فحاربوا هذا الفكر الدخيل، وجعلوا ذلك من أولوياتهم حتى أدخلوه في جملة عقائدهم إذ الأمر خطير.

وكان ممن أسهموا في محاربة هذا الفكر الدخيل علماء الغرب الإسلامي الذين حماهم الله ـ بسبب تمسكهم بالمذهب المالكي الخالي من البدع والأهواء ـ من هذا الفكر العقيم، فكانت لهم مواقف مشرقة في الدفاع عن مكانة الصحابة والرد على منتقصيهم؛ مما لو جمع لكان في مجلد نفيس، وهو ما يهدف هذا البحث إلى بيانه.

الباحث في سطور

الدكتور عبد الله البخاري Alboukhari-1380@hotmail.com

- من مواليد عام 1960 بمدينة أسفي.
- أستاذ التعليم العالي بكلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة ابن زهر أكادير.
- دكتوراه من الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة عام 1998م.
- عضو مجموعة البحث في الدراسات الفقهية بكلية الآداب ـ أكادير.
- شارك في ندوات وملتقيات وأيام دراسية وثقافية وطنية ودولية عديدة.

من إنتاجه العلمي:

- جهود أبي الثناء محمود بن عبد الله الألوسي في الرد على الرافضة.
- الإيمان بين الزيادة والنقصان.
- الشيعة وبعض معتقداتها.
- كتاب بيان الخلاف والتشهير والاستحسان مما أغفله مورد الظمآن، لابن القاضي الفاسي(ت1082هـ)، تقديم وتحقيق.
- كتاب: صبّ العذاب على من سبّ الأصحاب، للعلامة أبي المعالي الألوسي، دراسة وتحقيق، وغيرها.

مُقَدِّمَة

مضت سنة الله بإرسال الرسل مبشرين ومنذرين، وذلك كلما ظهر الفساد وانطمست أنوار دعوة الأنبياء والمرسلين، حتى جاء وقت البعثة المحمدية لخاتم المرسلين وخيرة خلق الله أجمعين، محمد بن عبد الله الأمين، المبعوث رحمة للعالمين، ولما كانت الرسالة كبيرة، والأمانة ثقيلة، اختار الله له أصحاباً وحواريين، يقولون بالحق وبه يعدلون، اصطفاهم من بين مخلوقاته، والله أعلم حيث يجعل رسالاته، فرباهم إمام المربين تربية أصبحوا معها يُقَدِّمون خدمة الرسول ﷺ والرسالة على أنفسهم والناس أجمعين.

ولما انتشر نور الإسلام، بدأ الكيد له ممن سقطت عروشهم، وذهبت ممالكهم وتواريخهم، فسلكوا كل مسلك للنيل منه ومن أتباعه، فكان مما أوحت به إليهم شياطينهم من الجن والإنس، أن يتقمصوا الإسلام ثم يهدمونه من داخله، وذلك بالطعن في الحلقة الأولى من حلقات أصحابه وأتباعه، وهي حلقة الاتصال بين الأمة الإسلامية ونبيها الخاتم، قال ابن عبد البر: «وما أظن أهل دين من الأديان إلا وعلماؤه معتنون بمعرفة أصحاب أنبيائهم؛ لأنهم الواسطة بين النبي وبين أمته»[1]، وهذه الواسطة تمثل جيلاً إذا سقطت عدالته سقط الدين كله، وهذا هو هدفهم المنشود، ومن أجل ذلك اشتغلوا بسب الصحابة والطعن فيهم باختلاق الأكاذيب والافتراءات عليهم حتى يشوهوا سمعتهم ويتوصلوا بذلك إلى أمرين:

(1) الاستيعاب المطبوع مع الاصابة (1/ 8ـ 9).

ـ **الأمر الأول**: الطعن في الرسول ﷺ لأنه هو الذي رباهم، وكثيراً ما يعير الشيخ أو الأب بالتلاميذ أو بالأبناء، فيقال: لو كان الشيخ أو الأب صالحاً لكان أبناؤه صالحين

عن المرء لا تسأل وأبصر قرينه ••• فإن القرين بالمقارن يقتدي[1]

وهذا ما أشار إليه الإمام مالك في شأن من يسبون الصحابة، فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إنما هؤلاء أقوام أرادوا القدح في النبي ﷺ فلم يمكنهم ذلك فقدحوا في أصحابه حتى يقال: رجل سوء لو كان رجلاً صالحا لكان أصحابه صالحين»[2].

ـ **الأمر الثاني**: إسقاط عدالة الصحابة ورد شهادتهم، وهذا أمر إن نجحوا فيه أبطلوا الدين من أساسه؛ لأن الصحابة هم الذين نقلوا إلينا هذا الدين الحق، وهذا ما أشار إليه الإمام أبو زرعة الرازي رحمه الله بقوله: «إذا رأيت الرجل ينتقص أحدا من أصحاب رسول الله ﷺ فاعلم أنه زنديق، وذلك أن الرسول ﷺ عندنا حق، والقرآن حق، وإنما أدى إلينا هذا القرآن أصحاب رسول الله ﷺ، وإنما يريدون أن يجرجوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة، والجرح بهم أولى، وهم زنادقة»[3]، ولذلك قال الإمام أحمد رحمه الله: «إذا رأيت رجلا يذكر أحدا من الصحابة بسوء فاتهمه على

---

(1) البيت لطرفة بن العبد البكري. انظر ديوانه (ص28). وجمهرة أشعار العرب للقرشي (ص210). وشرح القصائد العشر للتبريزي (ص124). وفيه قال إنه لعدي ابن زيد. وفي الآداب الشرعية لابن مفلح (3/ 538). نسبه لعدي ابن ثابت لكنه بلفظ:

عن المرء لا تسأل واسأل عن قرينه ••• فكل قرين بالمقارن يقتدي

وكذلك في الصارم المسلول لابن تيمية (ص580).

(2) الصارم المسلول (ص580).

(3) الكفاية للخطيب البغدادي (ص97).

الإسلام»[1]، وقال الحافظ أبو نعيم الأصبهاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فلا يتتبع هفوات أصحاب الرسول ﷺ وزللهم ويحفظ عليهم ما يكون منهم في حال الغضب والموجدة إلا مفتون القلب في دينه»[2]، وقال أيضا: «فمن سبهم وأبغضهم وحمل ما كان من تأويلهم وحروبهم على غير الجميل الحسن، فهو العادل عن أمر الله تعالى وتأديبه ووصيته فيهم، لا يبسط لسانه فيهم إلا من سوء طويته في النبي ﷺ وصحابته والإسلام والمسلمين»[3]، ولخطورة هذا الكيد كان المسلمون له بالمرصاد منذ بدايته فحاربوا هذا الفكر الدخيل، وجعلوا ذلك من أولوياتهم حتى جعلوا ذلك في جملة عقائدهم إذ الأمر خطير.

وكان ممن أسهم في محاربة هذا الفكر الدخيل علماء الغرب الإسلامي الذين حماهم الله ـ بسبب تمسكهم بالمذهب المالكي الخالي من البدع والأهواء ـ من هذا الفكر العقيم فكانت لهم مواقف مشرفة في الدفاع عن مكانة الصحابة وإحلالهم المنزلة اللائقة بهم، والرد على منتقصيهم، مما لو جمع لكان في مجلد نفيس؛ ولذلك فإني إن شاء الله سأحاول جمع بعض هذه المواقف المشرفة لعلماء الغرب الإسلامي، وأنظمها تحت عنوان:

«موقف علماء الغرب الإسلامي من منتقصي الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ»

وهو داخل تحت محور: ردود علماء المغرب والأندلس على منتقصي الصحابة، وسيشتمل هذا العرض على: مقدمة وثلاث مباحث وخاتمة.

---

(1) البداية والنهاية: (8/ 142).

(2) كتاب الإمامة والرد على الرافضة (ص 344).

(3) نفسه (ص376).

- المقدمة: وفيها أهمية الموضوع وخطورة إهماله.
- المبحث الأول: عقيدة أهل السنة في الصحابة عند علماء الغرب الإسلامي.
- المبحث الثاني: موقف علماء الغرب الإسلامي من منتقصي الصحابة عموما.
- المبحث الثالث: موقف علماء الغرب الإسلامي من منتقصي بعض الصحابة خصوصاً.
- الخاتمة: وفيها النتائج والتوصيات.

المبحث الأول: عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة عند علماء الغرب الإسلامي

كل من كتب في العقيدة من علماء الغرب الإسلامي فإنه ينصُّ على ما يجب على المسلم أن يعتقده في شأن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وما ذلك إلا لأن فساد الاعتقاد في الصحابة يترتب عليه فساد الدين كله ونقض أصوله.

وإذا دُرس تاريخ الصحابة بمعزل عن المنهج القرآني النبوي، وبمعزل عن العقيدة الصحيحة في الصحابة، فإنه سيكون تاريخا مشوها، ومن هنا أصبحت النظرة إلى الصحابة نظرة عقدية؛ وأصبح شأن الصحابة يشكل جزءا من عقيدة المسلمين، فأجمع المسلمون على أن العقيدة الصحيحة في الصحابة هي:

أن كل الذين صحبوا رسول الله ﷺ وماتوا على الإيمان عدول، تجب محبتهم و البراءة من أعدائهم، ويجب نشر محاسنهم، والإمساك عما شجر بينهم، لأن ذلك كان عن اجتهاد وحسن نية في فعل الأفضل، فالمصيب منهم له أجران، والمخطئ له أجر واحد، وأن أفضلهم الخلفاء الأربعة، وترتيبهم في الأفضلية كترتيبهم في الخلافة، ثم باقي العشرة، ثم أهل بدر، ثم أحد، ثم بيعة الرضوان، ثم سائر الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ؛ وأنهم كلهم من أهل الجنة بدليل قوله تعالى:﴿وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾[1] فالحسنى: هي الجنة، وبهذه الآية استدل ابن حزم[2] وابن تيمية[3] وابن حجر الهيتمي[4] بأن الصحابة كلهم من أهل الجنة، وأنه لا يمكن أن يأتي أحد من هذه الأمة يَفْضُلُهم، فمنزلتهم لا

(1) سورة الحديد: الآية 10.

(2) الفصل في الملل والأهواء والنحل (4/ 148).

(3) الصارم المسلول (ص572).

(4) الصواعق المحرقة (ص609).

تدرك بكثرة الطاعات والعبادات، لأنهم اختصوا بأمور اختارهم الله إليها لا توجد عند من جاء بعدهم، والأمر كما قال ابن حزم رَحِمَهُ ٱللَّهُ «ركعة من نبي أو ركعة مع نبي، أو صدقة من نبي، أو صدقة مع نبي، أو ذكر منه أو ذكر معه، وسائر أعمال البر منه أو معه، فقليل ذلك منه أفضل من كثير الأعمال بعده ويبن ذلك قوله تعالى ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ﴾[1]، وقوله ﷺ: «لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه»[2].

وقال ابن عمر: «لا تسبوا أصحاب محمد ﷺ، فلمقام أحدهم ساعة خير من عمل عمره»[3]، وجمهور العلماء على أن الصحبة لا يعدلها عمل، قال الإمام أحمد: «فأدناهم صحبة هو أفضل من القرن الذين لم يروه ولو لقوا الله بجميع الأعمال»[4].

وقال النووي رحمه الله: «وفضيلة الصحبة ولو لحظة لا يوازيها عمل، ولا تنال درجتها بشيء، والفضائل لا تؤخذ بقياس، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء»[5].

وهذا العقيدة في الصحابة بأدلتها لا تتعارض مع حديث أبي ثعلبة: «تأتي أيام للعامل فيهن أجر خمسين، قيل: منهم أو منا يا رسول الله؟ قال: «بل منكم»[6].

---

(1) سورة الحديد: الآية 10.

(2) صحيح البخاري، كتاب:62 باب:5 رقم: (3673) بلفظ «لا تسبوا أصحابي...».

(3) سنن ابن ماجة (1/ 57) برقم 162، والسنة لابن أبي عاصم برقم 1006، وحسنه الألباني كما في صحيح ابن ماجة برقم: 133.

(4) شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي (1/ 160).

(5) صحيح مسلم بشرح النووي(16/ 93).

(6) أبو داود (رقم 4341) وابن ماجه رقم (4014)، وصححه الألباني كما في السلسلة الصحيحة رقم:494.

لأن هذا الخبر وإن كان من حيث الثبوت لا يقارن بالأخبار السابقة، إلا أن العلماء جمعوا بينه وبينها من عدة وجوه، منها:

> أن هذا الحديث لا يدل على الأفضلية المطلقة لمجرد زيادة الأجر على بعض الأعمال.

> ومنها: أن المفضول قد توجد فيه مزايا وفضائل ليست عند الفاضل، ولكن من حيث مجموع الخصال لا يساوي الفاضل.

> ومنها: أن الأفضلية بينهما إنما هي باعتبار ما يمكن أن يجتمعا فيه، كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مثلاً، أما ما اختص به الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ من مشاهدة الرسول ﷺ والعبادة معه والجهاد، فأمر لا يدرك، «إذ لا يسع أحد أن يأتي من الأعمال وإن جلت بما يقارب ذلك فضلاً عن أن يماثله، ومن ثم سئل عبد الله بن المبارك، وناهيك به جلالة وعلما: أيما أفضل: معاوية أو عمر بن عبد العزيز؟ فقال: الغبار الذي دخل أنف فرس معاوية مع رسول الله ﷺ خير من عمر بن عبد العزيز كذا وكذا مرة»[1]، ولذلك قال ابن حزم: وإنما تقع المفاضلة بين الفاضلين إذا كان فضلهما واحداً من وجه واحد فتفاضلا فيه، وأما إذا كان الفضل من وجهين اثنين فلا سبيل إلى المفاضلة بينهما، لأن معنى قول القائل:«أي هذين أفضل؟ إنما هو أي هذين أكثر أوصافاً في الباب الذي اشتركا فيه، ألا ترى أنه لا يقال: أيهما أفضل؛ رمضان أو ناقة صالح، ولا أيهما أفضل؛ الكعبة أو الصلاة، بل نقول: أيهما أفضل؛ مكة أو المدينة، وأيهما أفضل؛ رمضان أو ذو الحجة... فقد صح أن التفاضل إنما يكون في وجه اشترك فيه المسئول عنهما، فسبق أحدهما فيه»[2].

---

(1) الصواعق المحرقة (2/ 612ـ 614).

(2) الفصل (4/ 191)، وانظر فتح الباري (7/ 9).

ثم إن الخلاف بين الجمهور في هذه القضية لا يشمل كبار الصحابة، كالعشرة وأهل بدر وأحد وبيعة الرضوان[1].

فهذه العقيدة في الصحابة هي التي نصَّ عليها علماء الغرب الإسلامي في كتبهم، ومن هؤلاء العلماء: مالك الصغير: الإمام أبو محمد عبد الله ابن أبي زيد القيرواني النفزي الأندلسي (ت386هـ)، قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«وأفضل الصحابة الخلفاء الراشدون المهديون: أبوبكر وعمر وعثمان ثم علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين، وأن لا يذكر أحد من صحابة رسول الله ﷺ إلا بأحسن ذكر، والإمساك عما شجر بينهم، وأنهم أحق الناس أن يلتمس لهم أحسن المخارج، ويظن بهم أحسن الظن»[2].

ومنهم أبو عبد الله محمد بن أبي زمنين (ت399هـ) قال:«ومن قول أهل السنة أن يعتقد المرء المحبة لأصحاب النبي ﷺ، وأن ينشر محاسنهم وفضائلهم، ويمسك عن الخوض فيما دار بينهم، وقد أثنى الله عَزَّوَجَلَّ في غير موضع من كتابه ثناء أوجب التشريف إليهم بمحبتهم، والدعاء لهم، فقال: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ إلى قوله: ﴿...أَجْرا عَظِيماً﴾[3]، وقال: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ ... فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[4]، ثم ذكر مجموعة من الأحاديث منها: عن جابر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «دعوا

(1) الصواعق المحرقة (1/ 614)، وفتح الباري (1/ 9)، واعتقاد أهل السنة في الصحابة لمحمد الوهيبي(ص21ـ 23).

(2) متن الرسالة بشرح عبد المجيد الأزهري (ص 20).

(3) سورة الفتح: الآية 29.

(4) سورة الحشر: الآيتين 8 و9.

لي أصحابي، لا تسبوا أصحابي، فإن أحدكم لو أنفق كل يوم مثل أحد لم يبلغ مد أحدهم ولا نصيفه»[1]، وقال: «ومن قول أهل السنة: أن أفضل هذه الأمة بعد نبينا ﷺ أبوبكر وعمر، وأفضل الناس بعدهما عثمان وعلي»[2].

ومنهم أبو عمرو الداني(ت444هـ) قال: «ومن قولهم (أهل السنة) أن يحسن القول في السادات الكرام، أصحاب محمد عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وأن تذكر فضائلهم وتنشر محاسنهم، ويمسك عما سوى ذلك مما شجر بينهم، لقوله ﷺ: «إذا ذكر أصحابي فأمسكوا»[3]، يعني إذا ذكروا بغير الجميل، ولقوله ﷺ: «الله الله في أصحابي»[4]، ويجب أن يلتمس لهم أحسن المخارج، وأجمل المذاهب لمكانهم من الإسلام، وموضعهم من الدين والإيمان، وأنهم أهل الرأي والاجتهاد، وأنصح الناس للعباد...»[5].

وقال:«ومن قولهم: إن أفضل الصحابة رضوان الله عليهم: المهاجرون معه والذابون عنه، كما قال سبحانه:﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ﴾[6]، ثم الأنصار، ثم التابعون لهم بإحسان، وقال عز وجل: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ﴾[7]، وأفضل المهاجرين: العشرة

(1) رواه البخاري رقم: 3673، ومسلم رقم: 2541، بنحو هذا اللفظ.

(2) أصول السنة لابن أبي زمنين (ص263ـ 270).

(3) أبو نعيم في الحلية 1/ 108، وصححه الألباني كما في السلسلة الصحيحة برقم 34، وتمامه:«وإذا ذكر النجوم فأمسكوا، وإذا ذكر القدر فأمسكوا».

(4) الترمذي رقم: (3862) وأحمد في المسند (4/ 87)، وابن أبي عاصم رقم: 992، وحسنه الترمذي، وصححه ابن حبان 2284، لكن ضعفه الألباني في الضعيفة (2901).

(5) الرسالة الوافية (ص132).

(6) سورة الحديد: الآية 10.

(7) سورة التوبة: الآية 100.

المعدون للجنة، وهم: أبوبكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وطلحة، والزبير، وسعد، وسعيد، وعبد الرحمن بن عوف، وأبو عبيدة، وأفضل هؤلاء العشرة الأئمة الأربعة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي»[1].

وقال في المنبهة:

وحب أصحاب النبي فرض	ومدحهم تزلُّف وقرض
وأفضل الصحابة الصديق	وبعده المهذب الفاروق
وبعده عثمان ذو النورين	وبعده علي أبو السبطين
وبعد هؤلاء باقي العشرة	الأتقياء المرتضين البررة
أهلُ الخشوع والتقى والخوف	طلحةُ والزبيرُ وابن عوف
ثمت سعد بعدهم وعامر	ثم سعيد بن نفيل العاشر
وسائر الصحب فهم أبرار	منتخبون سادة أخيار[2]

ومنهم الإمام ابن عبد البر النمري (ت463هـ) في مقدمة كتابه الاستيعاب[3]، فقد تحدث بتفصيل عن عقيدة أهل السنة في الصحابة.

ونقل الإمام القرطبي رحمه الله (ت671هـ) عن البغدادي التميمي مستشهداً بكلامه قوله: «أصحابنا مجمعون على أن أفضلهم الخلفاء الأربعة، ثم الستة الباقون، إلى تمام العشرة، ثم البدريون، ثم أصحاب أحد، ثم أهل بيعة الرضوان بالحديبية»[4].

---

(1) الرسالة الوافية (ص132ـ 133).
(2) منبهة الإمام الداني (2 / 557ـ 558).
(3) الاستيعاب المطبوع مع الإصابة (1/ 3ـ 9).
(4) الجامع لأحكام القرآن (8 / 236).

وقال أيضاً:«فالصحابة كلهم عدول أولياء الله تعالى وأصفياؤه وخيرته من خلقه بعد أنبيائه ورسله، هذا مذهب أهل السنة والذي عليه الجماعة من أهل هذه الأمة».

وقد ذهبت شرذمة لا مبالاة بهم إلى أن حال الصحابة كحال غيرهم[1].

وقال: لا يجوز أن ينسب إلى أحد من الصحابة خطأ مقطوع به[2].

ومنهم أبو عمران الواعظ الأندلسي، قال في قصيدته المشهورة:

بين الصحابة والقرابة ألفة ... لا تستحيل بنزغة الشيطان

هموا كالأصابع في اليدين تواصلاً ... هل يستوي كف بغير بنان

حب البتول وبعلها لم يختلف ... من ملة الإسلام فيه اثنان

نسجت مودتهم سدا في لحمة ... فبناؤها من أثبت البنيان

الله ألف بين ود قلوبهم ... ليغيظ كل منافق طعان

رحماء بينهم صفت أخلاقهم ... وخلت قلوبهم من الشنآن

فدخولهم بين الأحبة كلفة ... وسبابهم سبب إلى الحرمان[3]

ومنهم الإمام أبو محمد علي بن أحمد بن حزم(ت456هـ)، قال رحمه الله:«فإن الكلمة في أول الإسلام والثمرة والصبر حينئذ وركعة في ذلك الوقت تعدل اجتهاد الأزمان الطوال، وجهادها، وبذل الأموال الجسام بعد ذلك، ولذلك قال رسول الله ﷺ:«دعوا لي أصحابي فلو كان لأحدكم مثل أحد ذهبا، فأنفقه ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه»[4].

---

(1) الجامع لأحكام القرآن (16/ 296- 299).

(2) نفسه (16 / 323).

(3) الرحلة العياشية (2/ 169).

(4) صحيح البخاري، كتاب:62 باب:5 رقم: (3673) بلفظ «لا تسبوا أصحابي...».

فكان نصف مد شعير أو تـمر في ذلك الوقت أفضل من جبل أحد ذهبا ننفقه نحن في سبيل الله عَزَّوَجَلَّ بعد ذلك، قال الله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ﴾[1].

وقال أبو محمد: «هذا في الصحابة فيمـا بينهم، فكيف بمن بعدهم معهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجـمعين»[2].

وقال: «ونقول: ففضل المهاجرين الأولين بعد عمر بن الخطاب قطعا إلا أننا لا نقطع بفضل أحد منهم على صاحبه ... فكل من تقدم ذكره من المهاجرين والأنصار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ إلى تـمـام بيعة الرضوان، فإننا نقطع على غيب قلوبهم وأنهم كلهم مؤمنون صالحون مـاتوا كلهم على الإيمـان والهدى والبر، كلهم من أهل الجنة لا يلج أحد منهم النار ألبته، لقول الله تعالى:﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ۝ أُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ۝ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾[3]. وكقوله عز وجل:﴿لَّقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ﴾[4].

قال أبو محمد:«فمن أخبرنا أن الله عز وجل أنه علم مـا في قلوبهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وأنزل السكينة عليهم، فلا يحل لأحد التوقف في أمرهم، ولا الشك فيهم ألبتة، ولقول الرسول ﷺ:«لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة إلا صاحب الجمل الأحمر»[5]،

(1) سورة الحديد: الآية 10.
(2) الفصل في الملل والأهواء والنحل(4/ 185).
(3) سورة الواقعة: الآية 10.
(4) سورة الفتح: الآية 18.
(5) تداخل هنا حديثان: ـ الأول:«لا يدخل النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة أحد، الذين بايعوا تحتها». مسلم: كتاب فضائل الصحابة (ح2 رقم: 2496). =

ولإخباره عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه لا يدخل النار أحد شهد بدراً[1]. ثم نقطع على أن كل من صحب رسول ﷺ بنية صادقة ولو ساعة فإنه من أهل الجنة لا يدخل النار للتعذيب إلا أنهم لا يلحقون بمن أسلم قبل الفتح، وذلك لقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُوْلَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى﴾[2]»[3].

ومنهم العلامة أحمد بن محمد البرنسي التازي الفاسي المعروف بزروق (ت899هـ)، شارح متن الرسالة لابن أبي زيد القيرواني فقد نقل عن أبي القاسم الحكيم أنه قال: «اليهود والنصارى أحسن حالاً من الروافض وإن كانوا مسلمين؛ لأنه لو قيل ليهودي: من أفضل الناس؟ قال: موسى، فإذا قيل من أفضل الناس بعده؟ قال: نقباؤه، ولو قيل للنصراني: من أفضل الناس؟ قال: عيسى، فإذا قيل له: من بعده في الفضل؟ قال: حواريوه، ولو قيل لرافضي: من أفضل الناس؟ قال: محمد ﷺ، فإذا قيل له: من شر الناس بعد موته؟ قال: أصحابه، فقبح الله رأيهم فيما أتوا من ذلك.

فالواجب ذكرهم بكل جميل، والإمساك عن كل ما يؤدي لخلافه، وما وقع بين علي ومعاوية فعن اجتهاد، ولكل أجر بما وقع منه، ومذهب أهل السنة أن الصحابة كلهم عدول»[4].

= الثاني: «من يصعد الثنية، ثنية المرار فإنه يحط عنه ما يحط عن بني إسرائيل، قال: فكان أول من صعدها خيلنا خيل بني الخزرج، ثم تتام الناس، فقال رسول الله ﷺ: «وكلكم مغفوراً له إلا صاحب الجمل الأحمر، فأتيناه فقلنا له تعالى يستغفر لك رسول الله ﷺ، فقال: «والله لأن أجد ضالتي أحب إلي من أن يستغفر لي «صاحبكم». مسلم: كتاب صفات المنافقين ح رقم: 2880.

قال القاضي عياض: قيل: هذا الرجل هو الجد بن قيس المنافق. شرح النووي على مسلم (17/ 127).

(1) السنة لابن أبي عاصم (رقم 860و861) ومسلم (رقم 2195) وأحمد (3/ 396).

(2) سورة الحديد: الآية 10.

(3) الفصل (4/ 225).

(4) شرح زروق على الرسالة (1/ 85ـ 86).

المبحث الثاني: موقف علماء الغرب الإسلامي من منتقصي الصحابة عموما.

قال ابن أبي زيد القيرواني(ت386هـ): «وقال مـالك: ومن شتم أحداً من أصحاب النبي ﷺ؛ أبا بكر أو عمر أو عثمـان أو معاوية أو عمرو بن العاص، فأمـا إن قال إنهم على ضلال وكفر فإنه يقتل، ولو شتمهم بغير ذلك من مشاتـمة الناس فلينكل نكالاً شديداً، وإن قال: إن جبريل أخطأ الوحي استتيب، فإن تاب وإلا قتل». وفي كتاب ابن سحنون: قال سحنون: «وكتب إلي بعض أصحابنا: ومن كفَّر أحداً من الصحابة كفَّر علياً أو عثمـان أو غيره من الصحابة فأوجعه جلداً»[1].

قال القاضي عياض (ت544هـ):«قال مـالك رحمه الله: من شتم النبي ﷺ قتل، ومن شتم أصحابه أدب»، ونقل قول مـالك السابق.

وقال ابن حبيب:«من غلا من الشيعة إلى بغض عثمـان والبراءة منه أدّب أدباً شديداً، ومن زاد إلى بغض أبي بكر وعمر فالعقوبة عليه أشد، ويكرر ضربه ويطال سجنه حتـى يموت، ولا يُبْلَغ به القتل إلا في سب النبي ﷺ»[2].

ونقل القاضي عياض عن مـالك قوله: «من انتقص أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ فليس له في هذا الفيء حق، قد قسم الله الفـيء في ثلاثـة أصـناف، فقـال:﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ...﴾ الآية، ثم قـال:﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ...﴾ الآيـة، وهـؤلاء هـم الأنـصار، ثـم قـال:﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ﴾[3] الآية. فمن تنقصهم فلا حـق لـه في فيء المسلمين»[4].

---

(1) النوادر والزيادات (14/ 531).
(2) الشفا (2/ 308ـ 309) ونقله عنه ابن فرحون في التبصرة (2/ 282).
(3) الآيات 8ـ 10 من سورة الحشر.
(4) الشفا (2/ 310).

وقال القحطاني (ت380هـ) في نونيته:

إن الـــروافض شر مـــن وطـــئ الحـــصى ... مـــن كل إنـــس نـــاطق أو جـــان
مـــدحوا النـــبي وخوّنـــوا أصـــحابه ... ورمـــوهمُ بـــالظلم والعـــدوان
حَبـــوا قرابتـــه وسَـــبوا صـــحبه ... جـــدلان عنـــد الله منتقـــصان
فكأنمـــا آل النـــبي وصـــحبه ... روحٌ يـــضُم جميعَهمـــا جـــسدان
لا تـــركنن إلى الـــروافض إنهـــم ... شـــتموا الـــصحابة دون مـــا برهـــان
لعنـــوا كمـــا بغـــضوا صـــحابة أحمـــد ... ووداهـــم فـــرض على الانـــسان[(1)]

وقال محمد بن عيسى بن محمد بن أصبغ الأزدي المالكي (ت620هـ):

وفرقـــة معروفـــة بالرافـــضة ... صنف من الـشيعة حـيرى خائـضة
قـــوم تـــبرؤا مـــن الـــصحابة ... وأوســـعوا في الـــسب والمعابـــة
وكفـــروا هنـــاك بعـــض الـــسلف ... وطعنـــوا في فـــضلهم والـــشرف
وربمـــا مـــالوا للاعـــتزال ... في بعـــض مـــا لهـــم مـــن الأقـــوال
في صـــفة الإيمـــان والتفـــسيق ... وزيغهـــم فيـــه عـــن التحقيـــق
وإنمـــا ســـموا بـــذاك قـــيلا ... لـــسبب كان له الـــسبيلا
قـــالوا لزيـــد بـــن عليْ بـــن الحـــسين ... نجـــل علي المعـــتلي عـــن كل شـــين
اشـــتم أبـــابكر وأيـــضاً عمـــرا ... فلـــم يطعهـــم حـــين جـــاءوا نكـــراً
فرفـــضوه فـــلذاك نـــسبوا ... رافـــضة ثـــم اســـتمرَّ اللقـــب[(2)]

---

(1) نونية القحطاني (ص21 و24).

(2) الدرة السنية في مقتضى المعالم السنية ورقة 14.

وفي أصول السنة لابن أبي زمنين(ت399هـ) بسنده إلى أيوب السختياني:«ومن ينتقص أحداً منهم (الصحابة) أو بغضه لشيء كان منه فهو مبتدع مخالف للسنة والسلف الصالح، والخوف عليه أن لا يرفع له عمل إلى السماء حتى يحبهم جميعاً ويكون قلبه لهم سليما»، ثم ساق سنده إلى مالك رحمه الله أنه قال:«ليس لمن انتقص أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ في الفيء حق»[1].

وقال الإمام أبو محمد علي بن حزم(ت456هـ): «لقد خاب وخسر من رد قول ربه عز وجل أنه رضي عن المبايعين تحت الشجرة وعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم، وقد علم كل أحد له أدنى علم أن أبابكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وطلحة، والزبير، وعمار، والمغيرة ابن شعبة رضي الله عنهم من أهل هذه الصفة.

والخوارج، والروافض، قد انتظمت الطائفتان الملعونتان البراءة منهم، خلافا لله عز وجل، وعناداً له، ونعوذ بالله من الخذلان»[2].

وقال:«فإن الشيعة يفضلون أنفسهم، وهم شر خلق الله عز وجل على أبي بكر، وعمر، وعثمان، وطلحة، والزبير، وعائشة، وجميع الصحابة رضي الله عنهم حاشا عليا، والحسن، والحسين، وعمار بن ياسر.

والخوارج يفضلون أنفسهم ـ وهم شر خلق الله عز وجل وكلاب النار ــ على عثمان، وعلي، وطلحة، والزبير، ولقد خاب من خالف كلام الله تعالى وقضاء رسول الله ﷺ[3].

(1) أصول السنة لابن أبي زمنين (ص268ـ 269).
(2) الفصل (4/ 226).
(3) نفسه (4/ 186).

أما الإمام أبوبكر ابن العربي فإن له صولات وجولات مع من ينتقص الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، خاصة الشيعة، فهو لا يستغرب من انتقاص الرافضة للصحابة وتكفيرهم إياهم؛ وذلك لأنهم قالوا أكثر من ذلك؛ فقد اتهموا رسول الله ﷺ بأنه لم يقم بواجب تبليغ الرسالة كما ينبغي، وكان مداريا للصحابة فلم يستطع تبليغهم كل ما أمر بتبليغه لهم.

فقال رحمه الله: «ولا تستغربوا هذا من قولهم، فإنهم يقولون إن النبي ﷺ كان مداريا لهم ومعنياً بهم على نفاق وتقية[1]. وأين أنت من قول النبي ﷺ حين سمع قول عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: مروا عمر فليصل بالناس: «إنكن لأنتن صواحب يوسف مروا أبا بكر فليصل بالناس[2]»[3].

ثم حذر رَحِمَهُ اللَّهُ من الخوض مع الخائضين في الصحابة بالباطل، ودعا إلى الإمساك عما شجر بين الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وترك أمرهم إلى الله علام الغيوب فقال رَحِمَهُ اللَّهُ: «فأعرضوا عن الغاوين وازجروا العاوين، وعرجوا عن سبيل الناكثين، إلى سنن المهتدين، وأمسكوا الألسنة عن السابقين إلى الدين، وإياكم أن تكونوا يوم القيامة من الهالكين بخصومة أصحاب رسول الله ﷺ، فقد هلك من كان أصحاب النبي ﷺ

---

(1) قال تعالى:﴿أَتَوَاصَوْا بِهِۦ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾، فهذه العقيدة الفاسدة التي قال بها قدماء الشيعة، يعتقدها الشيعة المعاصرون، وعلى رأسهم إمامهم الخميني، فقد قال في كتابه كشف الأسرار.(ص150و155): (وهكذا يتضح من مجموع هذه الأدلة، ونقل الأحاديث بأن النبي ﷺ كان متهيبا من الناس بشأن الدعوة إلى الإمامة) ثم قال بعد صفحات خمس: (وواضح بأن النبي ﷺ لو كان قد بلغ بأمر الإمامة طبقا لما أمر به الله وبدل المساعي في هذا المجال لما نشبت في البلدان الإسلامية كل هذه الاختلافات والمشاحنات والمعارك، ولما ظهرت ثمت خلافات في أصول الدين وفروعه).

(2) صحيح البخاري، كتاب الأذان، باب 39 ح رقم: 664.

(3) العواصم (ص196).

خصمه، ودعوا ما مضى، فقد قضى الله فيه ما قضى، وخذوا لأنفسكم الجد فيما يلزمكم اعتقادا وعملا، ولا تسترسلوا بألسنتكم فيما لا يعنيكم مع كل ناعق اتخذ الدين هملا، فإن الله لا يضيع أجر من أحسن عملاً»[1].

وقال أيضاً في شأن الأخبار التي يتداولها الناس عن الصحابة الكرام:«وخذوا لأنفسكم بالأرجح في طلب السلامة، والخلاص بين الصحابة والتابعين، فلا تكونوا ولم تشاهدوهم ـ وقد عصمكم الله من فتنهم ـ ممن دخل بلسانه في دمائهم، فيلغ فيها ولوغ الكلب بقية الدم على الأرض بعد رفع الفريسة بلحمها، لم يلحق الكلب منها إلا بقية دم سقط على الأرض»[2].

وقال: «ومن نظر إلى أفعال الصحابة تبين منها بطلان هذه الهتوك التي يختلقها أهل التواريخ فيدسونها في قلوب الضعفاء»[3]، «والناس إذا لم يجدوا عيبا لأحد وغلبهم الحس عليه وعداوتهم له أحدثوا له عيوبا، فاقبلوا الوصية، ولا تلتفتوا إلا إلى ما صح من الأخبار، واجتنبوا أهل التواريخ فإنهم ذكروا عن السلف أخبارا صحيحة يسيرة ليتوسلوا بذلك إلى رواية الأباطيل فيقذفوا في قلوب الناس ما لا يرضاه الله تعالى وليحتقروا السلف ويهونوا الدين، وهو أعز من ذلك، وهم أكرم منا فرضي الله عن جميعهم»[4].

كما حذر رَحِمَهُ ٱللَّهُ من كتاب المسعودي ووصفه بأنه مبتدع محتال، و«الإمامة والسياسة» المنسوب لابن قتيبة، وحاشاه أن يقول مثل ما فيه، ووصف صاحب الكتاب بأنه جاهل عاقل وأشد شيء على الناس هذان الصنفان، وكذلك حذر من

(1) العواصم (ص183ـ 184).
(2) نفسه (ص 227).
(3) نفسه (ص248).
(4) نفسه (ص248).

كتاب المبرد، وكتب الأدب بصفة عامة التي لا تتحرى الصدق في الأخبار، وكذلك بعض كتب التفسير التي على هذا المنوال، ووصف من هذه صفته في نقل الأخبار: «بأنهم أهل جهالة بحرمات الدين، أو على بدعة مُصِرين، فلا تبالوا بما رووا، ولا تقبلوا رواية إلا عن أئمة الحديث، ولا تسمعوا لمؤرخ كلاما إلا للطبري، وغيرُ ذلك هو الموتُ الأحمر، والداء الأكبر، فإنهم ينشئون أحاديث فيها استحقار الصحابة والسلف... فإذا قاطعتم أهل الباطل واقتصرتم على رواية العدول، سلمتم من هذه الحبائل... فإذا صنتم أسماعكم وأبصاركم عن مطالعة الباطل، ولم تسمعوا في خليفة ممن ينسب إليه ما لا يليق ويذكر عنه ما لا يجوز نقله، كنتم على منهج السلف سائرين، وعلى سبيل الباطل ناكبين»[1].

وقال القرطبي: «روى أبو عروة الزبير من ولد الزبير: كنا عند مالك بن أنس فذكروا رجلا ينتقص أصحاب رسول الله ﷺ فقرأ مالك هذه الآية: ﴿مُّحَمَّد رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلذِينَ مَعَهُۥ﴾ إلى أن بلغ ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾ فقال مالك: «من أصبح من الناس في قلبه غيظ على أحد أصحاب رسول الله ﷺ فقد أصابته هذه الآية»، ثم علق القرطبي رحمه الله على قول مالك هذا بقوله: «قلت لقد أحسن مالك في مقالته، وأصاب في تأويله، فمن نقص واحدا منهم أو طعن عليه في روايته فقد رد على الله رب العالمين وأبطل شرائع المسلمين، قال الله تعالى: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلذِينَ مَعَهُۥ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾[2]، وقال: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُومِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ ﴾[3] إلى غير ذلك من الآي التي تضمنت الثناء عليهم والشهادة لهم بالصدق والفلاح»[4].

---

(1) العواصم (ص251-252).
(2) سورة الفتح: الآية 29.
(3) سورة الفتح: الآية 18.
(4) الجامع لأحكام القرآن (16/ 296).

المبحث الثالث: موقف علماء الغرب الإسلامي من منتقصي بعض الصحابة خصوصاً.

☒ **الخلفاء الأربعة:**

بعد أن ساق الإمام ابن العربي جملة من الأحاديث مستدلاً بها على أحقية أبي بكر في الخلافة، قال:«وهذه الأحاديث جبال في البيان، وجبال في السبب إلى الحق لمن وفقه الله...»، ثم قال رحمه الله:«وإذا تبصرتم هذه الحقائق فليس يخفى منها حال الخلفاء في خلالهم وولايتهم وترتيبهم خصوصا وعموما وقد قال الله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا﴾[1]. وإذا لم ينفذ هذا الوعد في الخلفاء فلمن ينفذ؟ وإذا لم يكن فيهم ففيمن يكون؟ والدليل عليه انعقاد الإجماع أنه لم يتقدمهم في الفضيلة أحد إلى يومنا هذا»[2].

وفي رده على الذين يتهمون الصحابة بأنهم لم يعملوا بوصية الرسول ﷺ لعلي بالخلافة، قال: «لو كان هناك نص على أبي بكر أو على علي، لم يكن بد من احتجاج علي به أو يحتج له به غيره من المهاجرين والأنصار، فأما حديث «ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه ليس نبي بعدي»[3]، فلا حجة فيه لأنه إنما استخلفه في حياته على المدينة كما استخلف موسى هارون في حياته ـ عند سفره للمناجاة ـ على

---

(1) سورة النور: الآية 55.

(2) العواصم (ص 194).

(3) صحيح البخاري، كتاب 64. باب:79. حديث 4416. وفي الأصل عند ابن العربي قال:«فأما حديث غدير خم» ولعله سبق قلم، إذ الشرح كان للحديث الذي أثبت.

بني إسرائيل، وقد اتفق الكل من إخوانهم اليهود على أن موسى مات بعد هارون فأين الخلافة؟

وأما قولهم: «اللهم وال من والاه»[1] فكلام صحيح ودعوة مجابة، وما يعلم أحد عاداه إلا الرافضة فإنهم أنزلوه في غير منزلته، ونسبوا إليه ما لا يليق بدرجته، والزيادة في الحد نقصان من المحدود ولو تعدى عليه أبو بكر ما كان المتعدي وحده بل جميع الصحابة»[2].

⊠ الرد على منتقصي الخلفاء الثلاثة:

بعد أن حكى تحت ما يسميه ابن العربي قاصمة أن منتقصي الصحابة يزعمون أن أبابكر وعمر وعثمان ومن كان معهم من الصحابة اتفقوا على نزع الخلافة من علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وبذلك فسق الجميع أو كفروا[3]، وحكى كلاما شنيعاً عن أهل البدع في الصحابة. ونحن إذ نستغفر الله من حكاية هذا الكذب والافتراء، ننقل كلام القاضي أبي بكر في إبطاله.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «يكفيك من شر سماعه، فكيف التململ به...ما رضيت النصارى واليهود في أصحاب موسى وعيسى ما رضيت الروافض في أصحاب محمد ﷺ حين حملوا عليهم بأنهم اتفقوا على الكفر والباطل، فما يرجى من هؤلاء وما يستبقى منهم. وقد اجتمعت الأمة على أن النبي ﷺ ما نص على أحد يكون من بعده[4]، كيف

---

(1) جزء من حديث: «من كنت مولاه فعلي مولاه...» رواه ابن ماجة (1/ 43)، وعبد الرزاق في المصنف (11/ 225)، وأحمد في مسنده (1/ 84 و118) وغيرهم.

(2) العواصم (ص 195-196).

(3) نفسه (ص 186).

(4) نفسه (ص189).

وقد قال العباس بن عبد المطلب لعلي ابن أبي طالب قبل وفاة الرسول ﷺ بأيام: «اذهب بنا إلى رسول الله ﷺ فنسأله فيمن يكون هذا الأمر بعده، فإن كان فينا علمنا ذلك، وإن كان في غيرنا علمنا فأوصى بنا، فقال علي: إنا والله لئن سألناها رسول الله ﷺ فمنعناها لا يعطيناها الناس بعده، وإني والله لا أسألها رسول الله ﷺ»[1].

قال ابن العربي:«وهذا يبطل قول مدعي الإشارة باستخلاف علي، فكيف أن يدعى فيه نص»[2].

وقال القرطبي: قال بعض العلماء:«من أنكر أن يكون عمر أو عثمان أو أحد من الصحابة صاحب رسول الله ﷺ فهو كذاب مبتدع، ومن أنكر أن يكون أبوبكر رضي الله عنه صاحب رسول الله ﷺ فهو كافر؛ لأنه رد نص القرآن»[3]، وفي الصفحة نفسها نقل عن ابن العربي قوله: قالت الإمامية قبحها الله: حزن أبي بكر في الغار دليل على جهله ونقصه[4].

أبو بكر الصديق

قال أبو محمد علي بن حزم:«ومن فضائل أبي بكر المشهورة قوله عز وجل: ﴿إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾[5].

---

(1) صحيح البخاري، كتاب المغازي. باب:83 ح. رقم:4447. وكتاب الاستئذان، باب 29. رقم: 6266.

(2) العواصم: (ص 190).

(3) الجامع لأحكام القرآن (8 / 146).

(4) أحكام القرآن (2 / 953). وانظر الجامع لأحكام القرآن (8 / 146).

(5) سورة التوبة: الآية 40.

فهذه فضيلة منقولة بنقل الكافة لا خلاف بين أحد في أنه أبوبكر فأوجب الله تعالى له فضيلة المشاركة في إخراجه مع رسول الله ﷺ في أنه خصه باسم الصحبة له، وبأنه ثانيه في الغار، وأعظم من ذلك كله أن الله معهما، وهذا ما لا يلحقه فيه أحد.

قال أبو محمد: فاعترض في هذا بعض أهل القِحة فقال: قد قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَقَالَ لِصَاحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا﴾[1].

قال: وقد حزن أبو بكر فنهاه رسول الله ﷺ عن ذلك فلو كان حزنه رضا لله عز وجل لما نهاه رسول الله ﷺ.

قال أبو محمد: وهذه مجاهرة بالباطل أما قوله في الآية ﴿لِصَاحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ﴾ قد أخبر الله تعالى بأن أحدهما مؤمن والآخر كافر، وبأنهما مختلفان، فإنما سماه صاحبه في المحاورة والمجالسة فقط[2].

كما قال الله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾[3]. فلم يجعله أخاهم في الدين وإنما في الدار والنسب، فليس هكذا قوله تعالى ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾، بل جعله صاحبه في الدين والهجرة، وفي الإخراج وفي الغار، وفي نصرة الله تعالى لهما وإخافة الكفار لهما، وفي كونه تعالى معهما، فهذه الصحبة غاية الفضل وتلك الأخرى غاية النقص بنص القرآن.

وأما حزن أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقبل أن ينهاه عنه رسول الله ﷺ كان غاية الرضا لله؛ لأنه كان إشفاقا على رسول الله ﷺ، ولذلك كان الله معه وهو تعالى لا يكون مع العصاة بل عليهم.

---

(1) سورة الكهف: الآية 34.

(2) الفصل (4/ 220).

(3) سورة الأعراف: الآية 85.

وما حزن أبو بكر قط بعد أن نهاه رسول الله ﷺ عن الحزن ولو كان لهؤلاء الأرذال حياء أو علم لم يأتوا بمثل هذا؛ إذ لو كان حزن أبي بكر عيبا عليه لكان ذلك على محمد وموسى رسول الله عيبا»[1]، إذ قال الله له: ﴿وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُ﴾[2] وقال: ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾[3] وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾[4]، وقال: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ﴾[5]. فالله أخبرنا أنه يعلم أن رسول الله ﷺ يحزنه الذي يقولون، ونهاه الله عَزَّوَجَلَّ عن ذلك نصاً،فيلزمهم في حزن رسول الله ﷺ الذي نهاه الله تعالى عنه كالذي أرادوا في حزن أبي بكر سواء بسواء[6].

ويمكن أن يكون أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لم يحزن يومئذ ولكن نهاه عَلَيْهِ السَّلَامُ أن يكون منه حزن كما قال الله تعالى لنبيه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: ﴿وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾[7]، فنهاه عن أن يطيعهم ولم تكن منه طاعة لهم، وهذا إنما يعترض به أهل الجهل والسخافة، ونعوذ بالله من الضلال.

قال أبو محمد:«واعترض بعض الجهال ببعثة رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خلف أبي بكر في الحج ليبلغ أهل الموسم سورة براءة، وقراءتها عليهم»[8].

---

(1) الفصل (4/ 220ـ 221).
(2) سورة لقمان: الآية 23.
(3) سورة النحل الآية 127.
(4) سورة يونس الآية 65.
(5) سورة الأنعام الآية 33.
(6) الفصل (4/ 220ـ 222).
(7) سورة الإنسان: الآية 24.
(8) الفصل (4/ 222).

قال أبو محمد: وهذا من أعظم فضائل أبي بكر لأنه كان أميرا على علي ابن أبي طالب وغيره من أهل الموسم، لا يدفعون إلا بدفعه ولا يقفون إلا بوقوفه ولا يصلون إلا بصلاته، وينصتون إذا خطب وعلي في الجملة كذلك، وسورة براءة وقع فيها فضل أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وذكره في أمر الغار، وخروجه مع النبي ﷺ وكون الله تعالى معهما، فقراءة علي لها أبلغ في إعلان فضل أبي بكر على علي، وعلى سواه، وحجة لأبي بكر قاطعة وبالله التوفيق...

وما يعترض إمامة أبي بكر إلا زَارٍ على رسول الله ﷺ، رادٍ لأمره في تقديمه أبابكر إلى الصلاة بأهل الإسلام، مريد لإزالته عن مقام أقامه فيه رسول الله ﷺ[1].

هذا بعض ردود ابن حزم على الطاعنين في أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقد رأيت قوتها.

▣ الدفاع عن أبي بكر بالنصوص التي تشير إلى خلافته.

وأما الإمام أبو بكر بن العربي فقد سلك مسلكاً آخر في رده على المطاعن التي وجهها أعداء الصحابة لأبي بكر، بحيث ركز على النصوص التي تثبت خلافته، وبين أنها جبال في الدلالة على المقصود، ثم عقب بعد ذلك على بعض الشبه المتهالكة التي تمسك بها بعض من لا حياء عندهم وأبطلها من أساسها الذي بني على شفا جرف هار، وهذه هي النصوص:

جاءت امرأة إلى النبي ﷺ فأمرها أن ترجع إليه، قالت له فإذا لم أجدك ـ كأنها تعني الموت ـ فقال تجدين أبا بكر[2].

---

(1) الفصل (4/ 222ـ223).

(2) صحيح البخاري، كتاب 62.ب:5.حديث 3659.

وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إن الله بعثني إليكم فقلتم كذبت، وقال أبو بكر صدق، وواساني بنفسه وماله، فهل أنتم تاركوا لي صاحبي مرتين»[1]، وقوله: «لو كنت متخذا خليلا لاتخذت أبا بكر، ولكن أخي وصاحبي»[2]، وقوله: «بينا أنا نائم رأيتني على قليب عليها دلو فنزعت منها ما شاء الله، ثم أخذها ابن أبي قحافة فنزع منها ذنوبا أو ذنوبين وفي نزعه ضعف والله يغفر له ضعفه، ثم استحالت غربا فأخذها ابن الخطاب فلم أر عبقريا من الناس ينزع نزع عمر حتى ضرب الناس بعطن»[3]، وفي رواية لمسلم[4] «فجاءني أبوبكر فأخذ الدلو من يدي ليروحني فنزع دلوين».

قال العلماء في قوله: «ليروحني» إشارة إلى نيابة أبوبكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وخلافته من بعده، وراحته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بوفاته من نصب الدنيا ومشاقّها، كما قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مستريح ومستراح منه»[5] و«الدنيا سجن المؤمن»[6] و«لا كرب على أبيك بعد اليوم»[7].

وقد ثبت أن النبي ﷺ صعد أحدا وأبو بكر وعمر وعثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ فرجف بهم فقال: اثبت أحد فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان[8].

---

(1) صحيح البخاري، كتاب 62.ب:5.(ح رقم: 3661).

(2) صحيح البخاري، كتاب 62.ب:5.(ح رقم: 3654).

(3) صحيح البخاري، كتاب 62.ب:5.(ح رقم: 3664).

(4) حديث رقم 2392.

(5) مالك في الموطأ. كتاب الجنائز. باب 16. (ح رقم:571). صحيح البخاري، كتاب الرقاق. باب 42. (ح رقم:6512). مسلم كتاب المساجد. باب 46. (ح رقم: 656).

(6) صحيح مسلم، كتاب الزهد. باب 1 (ح رقم:2956).

(7) ابن ماجة. كتاب الجنائز. باب 65 (ح رقم: 1629). وصحيح البخاري، كتاب المغازي. باب 84 (ح رقم:4462) بلفظ: «ليس على أبيك كرب بعد هذا اليوم».

(8) صحيح البخاري، كتاب 62.ب: 5.(ح رقم: 3675).

وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: قال رسول الله ﷺ في مرضه (الذي مات فيه): «ادعوا لي أبا بكر وأخاك حتى أكتب كتابا فإني أخاف أن يتمنى متمن ويقول قائل أنا أولى ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر»[1].

وصح أن النبي ﷺ قال ذات يوم «من رأى منكم رؤيا؟ فقال رجل: أنا رأيت كأن ميزانا نزل من السماء فوزنت أنت وأبا بكر فرجحت، ووزن أبو بكر وعمر فرجح أبو بكر، ووزن عمر وعثمان فرجح عمر، ثم رفع الميزان فرأينا الكراهية في وجه رسول الله ﷺ»[2] [3].

بعد ذكره لهذه الأحاديث قال رحمه الله: «وهذه الأحاديث جبال في البيان، وجبال في السبب إلى الحق لمن وفقه الله، ولو لم يكن معكم أيها السنية إلا قوله تعالى: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ﴾[4]. فجعل الأمة في نصيف وجعل أبا بكر في نصيف آخر وقام معه جميع الصحابة»[5]، وقال في كتابه أحكام القرآن عند تفسيره لهذه الآية مستقبحا مقالة الرافضة في أبي بكر: «قالت الإمامية قبحها الله: حزن أبي بكر في الغار مع كونه مع النبي ﷺ دليل على جهله ونقصه وضعف قلبه وحيرته. ثم قال:

أجاب على هذا علماؤنا بثلاثة أجوبة:

---

(1) صحيح مسلم حديث رقم: 2387.

(2) سنن أبي داوود. كتاب السنة. باب:9. حديث 4634. وهو صحيح.

(3) العواصم (ص 190ـ 193).

(4) سورة التوبة: الآية 40.

(5) العواصم (ص193).

> **الأول**: أن قوله لا تحزن ليس بموجب بظاهره وجود الحزن، إنما يقتضي منه منعه في المستقبل، فلعل النبي ﷺ قال له ذلك زيادة في طمانينة قلبه، فإن الصديق قال للنبيﷺ لو أن أحدهم نظر تحت قدميه لأبصرنا فقال له لا تحزن إن الله معنا، لتطمئن نفسه.

> **الثاني**: أن الصديق لا ينقصه إضافة الحزن إليه كما لم تنقص إبراهيم حين قيل عنه ﴿وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾[1]، ولم ينقص موسى قوله عنه ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴾[2].

> **الثالث**: أن حزن الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لم يكن لشك وحيرة، وإنما كان خوفا على النبيﷺ من أن يصله ضرر، ولم يكن النبي ﷺ معصوما من الضرر، فكيف يكون الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ضعيف القلب وهو لم يستخف حين مات النبي ﷺ بل ظهر وقام المقام المحمود ـ الذي تقدم ذكرنا له ـ بقوة يقين ووفور علم، وثبوت جأش، وفصلٍ للخطبة التي تعي المحتالين»[3].

قال القرطبي: «قال بعض العلماء في قوله تعالى﴿ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ﴾ ما يدل على أن الخليفة بعد النبيﷺ أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ لأن الخليفة لا يكون أبدا إلا ثانياً»[4].

وقال أيضا:«وقد جاء في السنة أحاديث صحيحة يدل ظاهرها على أنه الخليفة بعده، وقد انعقد الإجماع على ذلك ولم يبق منهم مخالف، والقادح في خلافته مقطوع

(1) سورة هود: الآية 69.
(2) سورة طه: الآية 66.
(3) أحكام القران لابن العربي (2/ 953).
(4) الجامع لأحكام القرآن (8/ 147).

بخطئه وتفسيقه، وهل يكفر أم لا؛ يختلف فيه، والأظهر تكفيره»، والذي يقطع به من الكتاب والسنة وأقوال علماء الأمة ويجب أن تؤمن به القلوب والأفئدة فضل الصديق على جميع الصحابة، ولا مبالاة بأقوال أهل الشيع ولا أهل البدع فإنهم بين مكفَّر تضرب رقبته، وبين مبتدع مفسّق لا تقبل كلمته[1].

▣ عمر بن الخطاب:

قال المنتقصون للصحابة: ثم خلفه في التعدي عمر يقصدون أن أبا بكر اعتدى في الخلافة، واغتصبها من علي وتبعه عمر، قال ابن العربي رحمه الله: «لقد اقتحموا عظيما وافتروا كبيرا وما جعلها عمر شورى إلا اقتداء بالنبي ﷺ وبأبي بكر، إذ قال: إن استخلف فقد استخلف من هو خير مني، وإن لم أستخلف فإن رسول الله ﷺ لم يستخلف[2]، فما رد هذه الكلمات أحد وقال: أجعلها شورى في النفر الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راض[3]، وقد رضي الله عن أكثر منهم ولكنهم كانوا خيار الرضا وشهد لهم بالأهلية للخلافة[4].

وتقدير عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لعلي يتنافى مع ما يزعمه الرافضة من أنه اعتدى عليه.

قال ابن العربي:«وقُتل عثمان فلم يبق في الأرض أحق بها من عليّ، فجاءته على قدر في وقتها ومحلها و بين الله على يديه من الأحكام والعلوم ما شاء الله أن يبين، وقد قال عمر: لولا علي لهلك عمر»[5].

---

(1) الجامع لأحكام القرآن (8 / 148).

(2) صحيح مسلم، كتاب 33. ب:2. حديث 11ـ 1823.

(3) صحيح البخاري، كتاب فضائل أصحاب النبيﷺ. باب 8. ح رقم:3700.

(4) العواصم (ص196).

(5) نفسه (ص197).

◙ عثمان بن عفان:

قال أبو محمد: «والذي يقع في نفوسنا دون أن نقطع به ولا نخطئ من خالفنا في ذلك هو أن عثمان أفضل من علي، والله أعلم، لأن فضائلهما تتقاوم في الأكثر فكان عثمان أقرأ، وكان علي أكثر فتيا ورواية. ولعلي أيضا حظ قوي في القراءة ولعثمان أيضا حظ قوي في الفتيا والرواية، ولعلي مقامات عظيمه في الجهاد بنفسه ولعثمان مثل ذلك بماله، ثم انفرد عثمان بأن رسول الله ﷺ بايع ليساره المقدسة عن يمين عثمان في بيعة الرضوان، وله هجرتان، وسابقة قديمة، وصهر مكرم محمود، ولم يحضر بدرا فألحقه الله تعالى فيهم بأجره التام وسهمه، فألحقه بمن حضرها فهو معدود فيهم، ثم كانت له فتوحات في الإسلام عظيمة لم تكن لعلي، وسيرة في الإسلام هادية، ولم يتسبب بسفك دم مسلم، وجاءت فيه آثار صحاح، وأن الملائكة تستحي منه»[1].

وقال الإمام ابن العربي رحمه الله ما ملخصه: «عندما جعل عمر الأمر شورى بين ستة منهم عبد الرحمن ابن عوف فأخرج ابن عوف نفسه وقدم عثمان فكان عثمان عند الظن به ما خالف عهدا ولا نكث عقدا و لا اقتحم مكرها ولا خالف سنة[2]، ولما صحت إمامته قتل مظلوما ليقضي الله أمرا كان مفعولاً[3]، والذين قاموا عليه كانوا أهل أغراض سوء حيل بينهم وبينها[4]، فلم يأت عثمان منكراً لا في أول الأمر ولا في آخره ولا جاء الصحابة بمنكر، وكل ما سمعت من خبر باطل إياك أن تلتفت إليه[5].

---

(1) الفصل (4/ 224).
(2) انظر: العواصم من القواصم (ص64).
(3) نفسه (ص67).
(4) نفسه (ص68).
(5) نفسه (ص71).

وقال أيضاً: قالوا متعدين، متعلقين برواية كذابين: جاء عثمان في ولايته بمظالم ومناكير منها: ثم ساق جملة من الأكاذيب والترهات المنحرفة والمؤولة عن وجهها الصحيح ثم كر عليها بالرد والتفنيد وسلك في ذلك منهجين منهج الاختصار ومنهج التفصيل، فقال في المنهج الأول: هذا كله باطل سندا ومتنا أما قولهم جاء عثمان بمظالم ومناكر فباطل[1]. ويعيب ابن العربي عن الذين يشتغلون بالاعتذار عن عثمان وغيره دون أن ينتبهوا إلى أن هذه الاتهامات مكذوبة. فقال عن اتهام أعداء الصحابة لعثمان بضرب عمار وابن مسعود، قال: وقد اعتذر عن ذلك العلماء بوجوه لا ينبغي أن تشتغل بها لأنها مبنية على باطل، ولا يبنى حق عن باطل، ولا ينبغي مجاراة الجهال لأن ذلك لا آخر له[2].

ثم يبين مدى الحقد الذي وصل عند بعض الناس إلى قلب الحقائق وجعل الحسنات سيئات، فقال عن اتهامهم لعثمان بأنه ابتدع جمع القرآن: «تلك حسنته العظمى وخصلته الكبرى، حسم مادة الخلاف وتحقق وعد الله على يديه»[3].

وقال عن اتهامهم لعثمان بأنه حمى الحمى بأن الحمى كان من عهد رسول الله ﷺ لأموال الصدقة وعثمان زاد فيه فقط عندما زادت الرعية وإذا جاز الأصل للحاجة إليه جازت الزيادة لزيادة الحاجة إليه[4].

وقال عن الاتهام بأن عثمان نفى أبا ذر إلى الربذة بأن ذلك لم يحدث وإنما أبو ذر هو الذي اختار تلك العزلة فوافقه عثمان وأكرمه وجهزه بما فيه راحته، ومعلوم أن

---

(1) العواصم (ص74).
(2) نفسه (ص77).
(3) نفسه (ص77).
(4) نفسه (ص83).

في هذه العزلة تحقيقا لإعجاز خبري أخبر عنه النبي ﷺ في قوله: «يرحم الله أبا ذر يعيش وحده ويموت وحده ويحشر وحده»[1]، وفيها أيضا تنفيذ لأمر رسول الله ﷺ الذي قال له «إذا بلغ البناء سلعا فاخرج منها»[2] وبين ابن العربي أن أبا ذر كان يذهب إلى عدم كنز المال حتى ولو أديت زكاته أخذا من قوله تعالى: ﴿وَالذِينَ يَكْنِزُونَ أَلذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلاَ يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ أِللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ اَلِيمٍ﴾[3]، وهو مذهب خالف به جمهور الصحابة وبعض الأحاديث النبوية، وكان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لا يكتفي بالعمل به في نفسه وإنما يريد فرضه على الناس، ثم قال في نهاية رده: «وحال أبي ذر أفضل، ولا تمكن لجميع الخلق، فلو كانوا عليها لهلكوا، فسبحان مرتب المنازل»[4].

وعن الحكم ابن أبي العاص قال ابن العربي ما ملخصه: إنه لم يصح أن عثمان خالف فيه شرع الله، كيف «وقد كان أذن له فيه رسول الله ﷺ »[5].

قلت: يؤيد هذا ما قاله ابن تيمية رحمه الله: «وقد طعن كثير من أهل العلم في نفيه، وقالوا هو ذهب باختياره، ... والمعلوم من فضائل عثمان، ومحبة النبي ﷺ له، وثنائه عليه، وتخصيصه بابنتيه، وشهادته له بالجنة، وإرساله إلى مكة، ومبايعته له عنه لما أرسله إلى مكة، وتقديم الصحابة له باختيارهم في الخلافة، وشهادة عمر وغيره له بأن رسول الله ﷺ مات وهو عنه راض، وأمثال ذلك مما يوجب العلم القطعي بأنه من كبار أولياء الله المتقين، الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه، فلا يدفع هذا بنقل لا

---

(1) الإصابة (4 / 65).

(2) السنة للخلال (1/ 107) ح رقم:50، المستدرك للحاكم (3/ 344) ح رقم: 5468 (صححه الحاكم، ووافقه الذهبي.

(3) سورة التوبة: الآية 34.

(4) العواصم (ص85).

(5) نفسه (ص88).

يثبت إسناده ولا يعرف كيف وقع ويجعل لعثمان ذنب بأمر لا يعرف حقيقته، بل مثل هذا مثل الذين يعارضون المحكم والمتشابه، وهذا من فعل الذين في قلوبهم زيغ الذين يبتغون الفتنة»[1].

وأما ترك القصر فاجتهاد اجتهده خوفاً من أن تؤدى السنة إلى إسقاط الفريضة، وهي مسألة خلافية لا يجوز الإنكار على المخالف فيها[2].

وعن تولية عثمان لمعاوية ابن أبي سفيان بين أن أول من ولى معاوية هو عمر ابن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وجمع له الشامات كلها، بل إنما ولاه أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، لأنه ولى أخاه يزيداً واستخلفه يزيد، فأقره عمر[3] وهكذا غيره من الولاة الذين ولاهم: كعبد الله بن عامر بن كريز، والوليد بن عقبة، فإنه اجتهد في اختيارهم، والولاية اجتهاد يراعي فيه الخليفة المصلحة العامة للأمة، أو أي شيء آخر قد يتصون عليه كما قال عثمان عن عبد الله بن عامر «إنه كريم العمات والخالات»[4]، وقال عن الوليد (إنما وليته لأنه ابن أم حكيم البيضاء عمة رسول الله ﷺ وتوأمة أبيه)[5]، وعن إعطاء عثمان خمس إفريقية لشخص واحد قال: هذا لم يصح، ونقل عن مالك رحمه الله أن الإمام يرى رأيه في الخمس...وأن إعطاءه لواحد جائز[6].

قال محب الدين الخطيب: «والذي صح هو إعطاؤه خمس الخمس لعبد الله ابن أبي سرح جزاء جهاده المشكور ثم عاد فاسترده منه»[7].

---

(1) منهاج السنة (6/ 268).
(2) العواصم (ص90).
(3) نفسه (ص91).
(4) نفسه (ص94).
(5) نفسه (ص95).
(6) نفسه (ص109).
(7) العواصم (ص109) حاشية:1.وانظر تاريخ الطبري حوادث سنة 27هـ.

وقال عن اتهامهم له بأنه ضرب بالعصا، فما سمعته ممن أطاع أو عصا، وإنما هو باطل يحكى وزور ينثى[1]، فيالله وللنهي[2].

وعن اتهامهم له بعلوه على درجة الرسول ﷺ قال:«فما سمعته ممن فيه تقية وإنما هو إشاعة منكر، ليروى ويذكر، فيتغير قلب من يتغير، ولو صح ذلك فما في هذا ما يحل دمه، ولا يخلوا أن يكون ذلك حقاً فلم تنكره الصحابة عليه إذ رأت جوازه ابتداءً أو لسبب اقتضى ذلك»[3].

قلت: في عهد النبي ﷺ اشترى عثمان مساحة من الأرض وسع بها المسجد النبوي، ثم وسعه بعد ذلك عمر ابن الخطاب، وفي عهد عثمان ابن عفان عندما ازداد عدد سكان المدينة وسع المسجد مرة أخرى، ومن المعلوم المسلم به أنه كلما ازدادت المساحة وكثر العدد احتاج الإمام إلى أن يَظهر أكثر في الخطبة ليراه الجميع ويستمعوا إليه جيدا فما العيب إن زاد عثمان درجة في المنبر ودرجتين ليساعد المصلين على الاستفادة منه أكثر.

وأما اتهام عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بأنه انهزم يوم حنين، وفر يوم أحد، وتغيب عن بدر، وبيعة الرضوان. رد عنه ابن العربي: بأن يوم حنين لم يذكر فيها من فر ومن بقي على التحديد، حتى قيل إنه لم يبق معه إلا العباس وابنه عبد الله وقثم، وعليه: فإن عثمان لم ينفرد بهذا وإنما شاركه جل الصحابة فلم الإنكار على عثمان دون من سواه.

وأما يوم أحد وبدر فإنه دافع بما دافع به عبد الله ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عندما جاءه ذلك المصري، وقال له: يا ابن عمر إني سائلك عن شيء فحدثني عنه، هل تعلم أن عثمان

---

(1) أي يداع ويظهر وينشر.
(2) العواصم (ص 111).
(3) نفسه (ص111).

فر يوم أحد؟ قال نعم، فقال هل تعلم أنه تغيب عن بدر ولم يشهد؟ قال نعم، قال الرجل هل تعلم أنه تغيب عن بيعة الرضوان فلم يشهدها؟ قال نعم، قال: الله أكبر، قال ابن عمر: تعال أبيّن لك، أما فراره يوم أحد فأشهد أن الله عفا عنه وغفر له، وأما تغيبه عن بدر فإنه كان تحته بنت رسول الله وكانت مريضة فقال له رسول الله ﷺ: إن لك أجر رجل ممن شهد بدراً وسهمه، وأما تغيبه عن بيعة الرضوان فلو كان أحد أعز ببطن مكة من عثمان لبعثه مكانه، فبعث رسول الله ﷺ عثمان وكانت بيعة الرضوان بعدما ذهب عثمان إلى مكة، فقال رسول الله ﷺ بيده اليمنى: «هذه يد عثمان» فضرب بها على يده فقال: «هذه لعثمان» ثم قال له ابن عمر: اذهب بها الآن معك[1].

فانظر رحمك الله إلى أهل الأهواء والأغراض الدنيئة، كيف يحرفون الكلم عن مواضعه، ويخرجون المعاني عن مقاصدها، وانظر ماذا تفعل الدعاية الكاذبة والمغرضة في البسطاء وعوام الناس، وانظر أيضا إلى دور العلماء الربانيين في كشف الحقائق وتجلية الغوامض، وذلك بنفي تحريف الغالين وانتحال المبطلين عن هذا الدين، وهذا يميز ما قام به عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما.

وعن اتهام عثمان بأنه لم يقتل عبيد الله بن عمر بن الخطاب بالهرمزان يقول ابن العربي: «إن ذلك باطل».

قلت: روى الطبري في تاريخه حوادث سنة 24هـ أن القماديان بن الهرمزان لما قتل عبيد الله بن عمر بن الخطاب الهرمزان وولي عثمان، قال: «دعاني (أي عثمان) فأمكنني منه، ثم قال: يابني هذا قاتل أبيك، وأنت أولى به منا فاذهب فاقتله، فخرجت

(1) صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة باب:7، حديث 3699. وانظر العواصم (ص112ـ 114).

به وما في الأرض أحد إلا معي؛ إلا أنهم يطلبون إلي فيه، فقلت لهم: إلي قتله؟ قالوا: نعم ـ وسبوا عبيد الله ـ فقلت: أَفَلَكُم أن تمنعوه؟ قالوا: لا، وسبوه، فتركته لله ولهم، فاحتملوني؛ فوالله ما بلغت المنزل إلا على رؤوس الرجال وأكفهم»[1]، وقد وقف عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هذا الموقف مع عبيد الله بن عمر مع أن الهرمزان سعى إلى قتل عمر وحمل الخنجر وظهر تحت ثيابه.

وأما قضية الكتاب الذي زوروه واتهموا به عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه أرسله إلى عامله بمصر يأمره فيه بقتل حامله فقد رد عليه بقول عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لهم: «إما أن تقيموا شاهدين على ذلك، وإلا فيميني أني ما كتبت و لا أمرت، و قد يكتب على لسان الرجل، ويضرب على خطه، وينقش على خاتمه، ثم بين ابن العربي أن هؤلاء الحاقدين طلبوا من عثمان أن يسلمهم مروان فقال: لا أفعل، قال ابن العربي: «ولو سلمه لكان ظالما، وإنما عليهم أن يطلبوا حقهم عنده على مروان وسواه، فما ثبت كان هو منفذه»[2].

▣ علي بن أبي طالب:

قال ابن العربي: في دفاعه عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «فإن قيل فقد قال طلحة: «بايعت واللج في قَفَيَّ» قلنا: اخترع هذا الحديث من أراد أن يجعل في (القفا) لغة (قفيَّ) كما يجعل في (الهوى) (هَوَيَّ)، وتلك لغة هذيل لا قريش، فكانت كذبة لم تدبر.

وأما قولهم: (يد شلاء) لو صح فلا متعلق لهم فيه، فإن يداً شُلّت في وقاية رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يتم لها كل أمر، ويتوقى بها من كل مكروه، وقد تم الأمر

---

(1) تاريخ الأمم والملوك (2 / 590).
(2) العواصم من القواصم (ص118ـ 119).

على وجهه، ونفذ القدر بعد ذلك على حكمه، وجَهِلَ المبتدعُ ذلك فاخترع ما هو حجة عليه»[1].

وقال: «فإن قيل: بايعوه على أن يقتل قتلة عثمان، قلنا هذا لا يصح في شرط البيعة، وإنما يبايعونه على الحكم بالحق، وهو أن يحضر الطالب للدم، ويحضر المطلوب، وتقع الدعوى، ويكون الجواب، وتقوم البينة، ويقع الحكم. فأما على الهجم عليه بما كان من قول مطلق، أو فعل غير محقق، أو سماع كلام، فليس ذلك في دين الإسلام»[2].

ومن خلال هذه النصوص يتبين لنا جهل هذا الكذاب الأشر، الذي وضع هذه الأخبار، فهو يجهل اللغة والتاريخ وجهاد المجاهدين المنافحين عن الرسول ﷺ كطلحة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ويجهل أصول الحكم والتقاضي في استرجاع الحقوق.

▣ ثبوت خلافة علي وأنه أولى الطائفتين بالحق.

جاء ابن العربي بحديث: «تقتل عماراً الفئة الباغية»[3] وحديث الخوارج: «يخرجون على حين فرقة من الناس»[4]، وكان الذي قتلهم علي بن أبي طالب، فتقرر عند علماء المسلمين؛ وثبت بدليل الدين أن علياً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان إماما، وأن كل من خرج عليه باغ، وأن قتاله واجب حتى يفيء إلى الحق، وينقاد إلى الصلح... وكان علي أحق بها وأهلها، فقبلها حوطة على الأمة أن تسفك دماؤها بالتهارج والباطل، وينخرق أمرها إلى ما لا يتحصل، وربما تغير الدين، وانقض عمود الإسلام؛ فلما بويع له طلب أهل الشام

(1) العواصم من القواصم (ص 149).
(2) نفسه (ص 150).
(3) صحيح البخاري، كتاب 8 باب 63 ح رقم: 447. ومسلم (ح رقم: 2915).
(4) صحيح البخاري، كتاب 61. باب 25. (ح رقم: 3611). ومسلم (ح رقم: 1064).

في شرط البيعة التمكين من قتلة عثمان وأخذ القود منهم، فقال لهم علي: ادخلوا في البيعة، واطلبوا الحق تصلوا إليه، فقالوا: لا تستحق بيعة وقتلة عثمان معك نراهم صباحا ومساء، فكان علي في ذلك أسدّ رأيا، وأصوب قولا؛ لأنه رأى أن ينتظر بهم حتى يستتب له الأمر ويستوثق «ويقع الطلب من الأولياء في مجلس الحكم، فيجري القضاء بالحق»[1].

◙ أهل صفين:

بعد عرضه لادعاءات الفريقين أشار إلى أن أعداء الصحابة من الشيعة وغيرهم انتحلوا حكايات لا أصل لها، وأنشأوا أشعاراً لا نهاية لها؛ لكي يشوهوا سيرة الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فقال: «وذكروا في تفاصيل ذلك كلمات آلت إلى استفعال رسائل، واستخراج أقوال، وإنشاء أشعار، وضرب أمثال، تخرج عن سيرة السلف، يقرها الخلف وينبذها السلف»[2].

وفي تجليته لحادثة صفين وتبيين ما فيها من الهزيل والسمين نجده يقرر الحقائق التاريخية الصحيحة كما هي، ويعلن موقفه منها، وبيان الطائفة المحقة من غيرها دون الخدش أو التجريح لأي منهما أصابوا أم أخطأوا في اجتهادهم، مستنداً في ذلك كله إلى القضاء الشرعي، والأخبار النبوية المستقبلية التي أشارت إلى أولى الطائفتين بالحق، وأما استناده إلى القضاء الشرعي فقال بعد أن أقر بوجودها وأسبابها: «وأما الصواب فيه فمع علي؛ لأن الطالب للدم لا يصح أن يحكم، وتهمة الطالب للقاضي لا توجب عليه أن يخرج عليه، بل يطلب الحق عنده، فإن ظهر له قضاء وإلا سكت وصبر»[3].

---

(1) أحكام القران (4/ 1718).

(2) العواصم من القواصم (ص 167).

(3) نفسه (ص167).

فمعاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان يطالب بقتلة عثمان، وعلي بن أبي طالب يقول: «إن ذلك لا يمكن لأمرين:

- **الأول**: أنهم كانت لهم شوكة وقوة لما تولى علي الخلافة.

- **الثاني**: أنهم غير معروفين بأعيانهم، ولمعرفتهم لا بد من القضاء الشرعي الذي يفصل في مثل هذه الأمور، «والذي يكشف الغطاء في ذلك أن معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما صار إليه الأمر لم يمكنه أن يقتل من قتلة عثمان أحداً إلا بحكم»[1].

وأما استناده إلى أحاديث الفتن فقال في شأنها: «والذي تثلج به صدوركم أن النبي ﷺ ذكر في الفتن وأشار وبين وأنذر بالخوارج، وقال: «تقتلهم أدنى الطائفتين إلى الحق»[2]، فبين أن كل طائفة منهما تتعلق بالحق، ولكن طائفة علي أدنى إليه، وقال في عمار: «تقتله الفئة الباغية»[3]، وقال في الحسن: «ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين»[4] فحسن له خلعه نفسه وإصلاحه» وكذلك يروى أنه أذن في الرؤيا لعثمان في أن يستسلم ويفطر عنده الليلة»[5]، ثم قال ابن العربي محذراً من الروايات التاريخية المكذوبة: «وما وقع من روايات في كتب التاريخ عدا ما ذكرنا فلا تلتفتوا إلى حرف منها فإنها كلها باطلة»[6].

---

(1) العواصم من القواصم (ص171).

(2) صحيح مسلم. كتاب الزكاة. باب 47. ح رقم: 1065.

(3) تقدم تخريجه.

(4) صحيح البخاري، كتاب 62. باب 22. ح رقم: 3646.

(5) العواصم من القواصم (ص 174).

(6) نفسه (ص 174).

▣ **الدفاع عن عائشة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا:

قال القاضي عياض رحمه الله: «وروي عن مالك: من سب عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قتل، قيل له: لم، قال: من رماها فقد خالف القران، وقال ابن شعبان عنه: لأن الله يقول: ﴿يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُواْ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[1]، فمن عاد لمثله فقد كفر»[2].

«وشتم رجل عائشة بالكوفة فقُدِّم إلى موسى بن عيسى العباسي فقال: من حضر هذا، فقال ابن أبي ليلى: أنا، فجلد ثمانين وحلق رأسه وأسلمه للحجامين»[3].

وقال القحطاني في نونيته:

أكرم بعائشة الرضى من حرة ... بكر مطهرةِ الإزارِ حَصَان
هي زوجُ خيرِ الأنبياء وبكرُه ... وَعَرُوسه من جملة النسوان
هي عِرْسُه هي أنسه هي إلفه ... هي حبُّه صدقاً بلا أدهان
أو ليس والدها يصافي بعلها ... وهما بروح الله مؤتلفان[4]

وقال: أبو عمران موسى بن محمد بن عبد الله الواعظ الأندلسي في فضل أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا:

يا مُبْغضي لا تَأْت قَبْرَ محمَّدٍ ... فالبَيْتُ بيتي والمَكانُ مَكاني
والله في القُرآنِ قد لَعَنَ الذي ... بَعْدَ البَرَاءَةِ بالقَبيح رَماني
والله وَبَّخَ مَنْ أرَادَ تَنَقُّصي ... إفْكاً وسَبَّحَ شأنه في شاني

(1) سورة النور: الآية 17.
(2) الشفا (2/ 309).
(3) الشفا (2/ 310).
(4) نونية القحطاني (ص 22).

وَيْـــلٌ لِعَبْـــدٍ خـــانَ آلَ مُحَمَّـــدٍ بِعَـــداوةِ الأزواجِ والأخْتـــانِ
مَـن حَبَّـني فَلْيَجْتَنِـبْ مَـنْ سَـبَّني إنْ كانَ صـــانَ مَحَبَّـــتي ورعاني
وإذا مُحِـــبِّي قَـــدْ أَلَـــظَّ بِمُبْغِـــضي فَـكِلَاهمـــا في البُغـضِ مُـــسْتوِيانِ
إني لَطَيِّبَـــةٌ خُلِقْـــتُ لطيِّـــبٍ ونِـساءُ أَحْمَـدَ أطيـبُ النِّـسْوانِ
إني لأُمُّ المـــؤمنينَ فَمَـــنْ أَبَى حُـبِّي فَـسَوْف يَبُـوءُ بالخُـسْرَانِ
الله حَبَّبَـــني لِقَلْـــبِ نَبِيِّـــه وإلى الـصراطِ المـستقيمِ هـداني[1]

وفي دفاع ابن العربي عن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: بين أن الذين ينتقصون منها أو ينكرون عليها أموراً إنما هم يكذبون ويفترون، ولا يسمعون ولا يعقلون، وإذا فُهِّمُوا لا يفهمون، فهم كالصم البكم الذين لا يعقلون، قال رحمه الله: «فإن قيل لم خرجت عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا (أي إلى البصرة) وقد قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لهن في حجة الوداع: «هذه ثم ظهور الحصر»[2]، قلنا: «حدث حديثين امرأة، فإن أبت فأربعة»[3] يا عقول النسوان، ألم أعهد إليكم ألا ترووا أحاديث البهتان، وقدمنا لكم على صحة خروج عائشة البرهان[4]، فلم تقولون ما لا تعلمون، وتكررون ما وقع الانفصال عنه كأنكم لا تفهمون ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾[5]»[6].

---

(1) الرحلة العياشية (2/ 168ـ 169).
(2) في مسند أحمد (2/ 446) عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ لما حج بنسائه قال: «إنما هي هذه الحجة ثم الزمن ظهور الحصر» والحصر: جمع حصير أي إلْزَمْنَ المنازل.
(3) مثل يضرب في سوء السمع والإجابة، وهو في الأمثال للميداني (1/ 342) رقم 1021، لكنه بلفظ: فإن لم تفهم فأربعة.
(4) سبق أن بين أن المقصد من خروجها إخماد الفتن والصلح بين الناس، وقد اجتهدت في ذلك هي ومن معها من كبار الصحابة كطلحة والزبير رضي الله عن الجميع.
(5) سورة الأنفال: الآية 22.
(6) العواصم من القواصم (ص 164).

وأمـا الذين ذكرتم من الشهادة على مـاء الحوأب فقد بؤتم في ذكرهـا بـأعظم حُـوبٍ مـا كان قط شيءٌ مـمـا ذكـرتم، ولا قـال النبـي ﷺ ذلـك الحـديث، ولا جـرى ذلـك الكـلام، ولا شـهد أحـد بـشهادتهم، وقـد كتبـت شـهاداتكم بهـذا الباطـل وسـوف تسألون»[1].

وقال في كتابه أحكام القران:«قال هشام بن عمـار: سمعت مـالكاً يقول: مـن سـب أبا بكر وعمر أدب، ومن سب عائشة قتـل؛ لأن الله تعـالى يقـول: ﴿يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُواْ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[2] فمن سب عائشة فقد خـالف القـرآن، ومن خالف القرآن قتل، وقال: «إن أهل الإفك رموا عائشة المطهرة بالفاحـشة فبرأهـا الله، فكل من سبها مـمـا براها الله منه فهو مكذب لله، ومن كذب الله فهو كـافر، فهـذا طريق قول مـالك وهي سبيل لائحة (ظـاهرة) لأهـل البـصائر، ولـو أن رجـلاً سـب عائشة بغير مـا برأها الله منه لكان جزاؤه الأدب»[3].

▣ أبو موسى الأشعري:

قال ابن العربي رحمه الله في تبرئة أبي موسى الأشعري مـمـا نسب إليه من ضـعف في الرأي وعدم الفطنة، قال:(وكان أبو موسى الأشعري رجلا تقيـا ثقفـا فقيهـا عالمـا... أرسله النبي ﷺ إلى اليمن مع معاذ وقدمه عمر وأثنى عليـه بـالفهم)[4]، ثـم قـال نافيـا زعم بعض المؤرخين الكذابين بأن أبـا موسـى كـان أبلـه، وزعمـت الطائفـة التاريخيـة الركيكة أنه كان أبله ضعيف الرأي مـخذوعاً في القول وأن ابن العـاص كـان ذا دهـاء

(1) العواصم من القواصم (ص 164).
(2) سورة النور: الآية 17.
(3) أحكام القرآن لابن العربي (3/ 1356).
(4) العواصم (ص 177).

وأرب[1]، يضرب به الأمثال وكل ذلك كذب يتبع فيه بعض الجهال بعضا، وصنفوا فيه حكايات، وإنما بنوا على ذلك ما اختلقوه من أن عمراً غدر بأبي موسى الأشعري فثبت معاوية بعد ما خلع أبا موسى عليا.

قال القاضي أبو بكر ابن العربي: «هذا كله كذب صراح ما جرى منه حرف قط، وإنما هو شيء أخبر عنه المبتدعة، ووضعته التاريخية للملوك فتوارثه أهل المجانة والمجاهرة بمعاصي الله والبدع، وإنما الذي روى الأئمة الثقات الأثبات أن الحكمين اتفقا على عزل علي ومعاوية رضي الله عن الجميع، ورد أمر الخلافة إلى كبار أهل الصحابة وأعيانهم الذين توفي الرسول ﷺ وهو عنهم راض، ثم أورد خبرا يدل على ورع عمرو بن العاص ومحاسبته لنفسه مما يتنافى مع ما ينسب إليه من حيلة ومكر حاشاه من ذلك»[2].

قضية التحكيم:

رد الإمام ابن العربي رحمه الله عن كل ما حاكه الأفاكون ونسجوه من حكايات حول قضية التحكيم التي كانت بين علي ومعاوية رضي الله عنهما بعد وقعة صفين، والتي كان فيها من جهة علي أبو موسى الأشعري، ومن جهة معاوية عمرو بن العاص رضي الله عن الجميع. فقال رحمه الله: «وقد تحكم الناس في التحكيم فقالوا فيه ما لا يرضاه الله، وإذا لحظتموه بعين المروءة ـ دون الديانة ـ رأيتم أنها سخافة حمل على سطرها في الكتب في الأكثر عدم الدين، وفي الأقل جهل متين[3].

---

(1) العواصم (ص177).

(2) نفسه (ص180ـ 183).

(3) نفسه (ص176).

▣ الأسرار والحكم في الفتن التي وقعت:

قال ابن العربي: «وظهر من فقهه (أي علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) وعلمه في قتال أهل القبلة من استدعائهم ومناظرتهم وترك مبادرتهم، والتقدم إليهم قبل نصب الحرب معهم وندائه: لا تبدأ الحرب ولا يتبع مولّ، ولا يجهز على جريح، ولا تهاج امرأة ولا نغنم لهم مالا وأمره بقبول شهادتهم والصلاة خلفهم، حتى قال أهل العلم: لولا ما جرى ما عرفنا قتال أهل البغي»[1].

▣ الحسن ابن علي:

قال ابن العربي: ثم قتل علي، قالت الرافضة: فعهد إلى الحسن، فسلمها الحسن إلى معاوية، فقيل له (مسِّود وجوه المؤمنين) وفسقته جماعة من الرافضة وكفرته طائفة لأجل ذلك[2]، رد هذا الإدعاء بقوله: «أما قول الرافضة أنه عهد إلى الحسن فباطل، ما عهد إلى أحد، ولكن البيعة للحسن منعقدة، وهو أحق من معاوية ومن كثير من غيره، وكان خروجه لمثل ما خرج إليه أبوه من دعاء الفئة الباغية إلى الانقياد إلى الحق والدخول في الطاعة فآلت الوساطة[3] إلى أن تخلي عن الأمر صيانة لحقن دماء الأمة وتصديقا لقول نبي الملحمة، حيث قال على المنبر:(ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين)[4]»[5].

وعمل الحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بمقتضى حاله فإنه صالح حين استشْرَى الأمر عليه، وكان ذلك بأسباب سماوية، ومقادير أزلية، ومواعد من الصادق صادقة، منها ما رأى من

(1) العواصم(ص197ـ 198).
(2) نفسه (ص201).
(3) صحيح البخاري، كتاب 9. حديث 2704.
(4) صحيح البخاري: كتاب 62. ب22.ح رقم: 3646.
(5) العواصم (ص202ـ 203).

تشتت آراء من معه، ومنها أنه طُعن حين خرج إلى معاوية فسقط عن فرسه وداوى جرحه حتى برأ، فعلم أن عنده من ينافق عليه ولا يأمنه على نفسه. ومنها أنه رأى الخوارج أحاطوا بأطرافه، وعلم أنه إن اشتغل بحرب معاوية استولى الخوارج على البلاد، وإن اشتغل بالخوارج استولى عليه معاوية، ومنها أنه تذكر وعد جده الصادق عند كل أحد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في قوله: «إن ابني هذا سيد ولعل الله يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين» فنفد الوعد الصادق في هذا الحديث وفي قوله: الخلافة ثلاثون سنة ثم تعود ملكا، فكانت لأبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وللحسن منها ثمانية أشهر، لا تزيد يوما ولا تنقص يوما، فسبحان المحيط لا رب غيره[1].

معاوية:

قال ابن العربي: فإن قيل: ألم يكن في الصحابة أقعد بالأمر من معاوية؟ قلنا: كثير، ولكن معاوية اجتمعت فيه خصال؛ وهي أن عمر جمع له الشامات كلها، وأفرده بها، لما رأى من حسن سيرته وقيامه بحماية البيضة وسد الثغور، وإصلاح الجند والظهور على العدو، وسياسة الخلق، وقد شهد له في صحيح الحديث بالفقه[2]»[3].

وقال أيضاً: «ولو اقتضت الحال النظر في الأمور لكانَ والله أعلم رأي آخر للجمهور، ولكن انعقدت البيعة لمعاوية بالصفة التي شاءها الله على الوجه الذي وعد به رسول الله ﷺ مادحا له، راضيا عنه، راجيا هدنة الحال فيه، لقول النبي ﷺ: «ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين»[4].

---

(1) أحكام القرآن (4 / 1719 - 1720).

(2) صحيح البخاري، كتاب 62 باب: 28. حديث رقم: 3764 و3765.

(3) العواصم (ص208).

(4) نفسه (ص213). والحديث تقدم.

وقال: «فإن قيل قد دس على الحسن من سمه، قلنا: هذا محال من وجهين: أنه ما كان ليتقي من الحسن بأسا وقد سلم الأمر. الثاني: أنه أمر مغيب لا يعلمه إلا الله، فكيف تحملونه بغير بينة على أحد من خلقه في زمان متباعد لم نثق فيه بنقل ناقل، بين أيدي قوم ذوي أهواء، وفي حال فتنة وعصبية، ينسب كل واحد إلى صاحبه ما لا ينبغي»[1].

هذا ما تيسر جمعه وترتيبه وتوثيقه، وهو قليل من كثير، فقد ضربنا صفحاً عن نصوص وردود كثيرة؛ لأن المقام لا يحتمل التطويل، وفيما ذكر غنية وكفاية، والله أسأل أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم وأن ينفع به عامة المسلمين.

وصلى الله وسلم وبارك على محمد وآله وصحبه أجمعين.

(1) العواصم (ص215ـ 216).

خاتمة

من خلال التأمل في موضوع الندوة والتطواف في المصادر المغربية والأندلسية، تبين لي ما يلي:

1. أهمية الندوة، والتوفيق الرباني الذي وفق إليه من فكر فيها.
2. أهمية البحث والدراسة في المحاور التي تطرقت إليها الندوة.
3. الحاجة الملحة للتعريف بجهود المغاربة والأندلسيين في الدفاع عن عقيدة أهل السنة والجماعة عموما، والعقيدة في الصحابة خصوصاً.
4. توجيه الأنظار إلى التراث المغربي في موضوع الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم.
5. نظراً لما يتعرض له الشباب المغربي من غزو فكري دخيل سقط بسببه ضحايا كثر، فإن موضوع الندوة يعتبر من مواضيع الساعة.
6. تفاوت جهود العلماء في الدفاع عن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم، إذ يأتي الإمام ابن العربي المعافري في المقدمة.
7. جهود علماء المغرب في الموضوع كثيرة لا يمكن حصرها في هذه العجالة.
8. صراع الحق مع الباطل في موضوع الصحابة قديم جداً بدأ من القرن الأول.
9. خطورة الجهل بعقيدة أهل السنة في الصحابة.
10. قوة العارضة وبلاغة العبارة والحجة عند كثير من المغاربة والأندلسيين.
11. لأهمية كثير من النصوص المنقولة عن علماء الغرب الإسلامي وقوتها، ربما أدى تحليلها أو تلخيصها إلى ضعفها.

12. ضعف شبه المبطلين وتفاهتها يمثل له بما قالوه من باطل في حق أبي بكر الصديق ومرافقته للرسول ﷺ في الهجرة.

13. يلزم من القول بعدم عدالة الصحابة والانتقاص من قدرهم لوازم خطيرة تؤدي إلى نسف الإسلام بكامله، نجملها فيما يلي:

1. الشك في القرآن الذي نقل إلينا بواسطة الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وقد وصل التهور والنفاق والحقد ببعض الطوائف أنهم اتهموا كبار الصحابة بتحريفه والنقص منه.

2. الشك في الأحاديث التي نقلت إلينا بواسطتهم.

3. تكذيب ورد الآيات الواردة في تزكيتهم والثناء عليهم والترضي عنهم، مثل قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾[1]، فهؤلاء أهل بيعة الرضوان وعددهم أربعمائة وألف، وفي مقدمتهم الخلفاء الأربعة كلهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وزكى بواطنهم بقوله تعالى: ﴿فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾، والرضى منه سبحانه لا يقع إلا عن من علم أنه سيموت على الإسلام ومن رضي عنه لا يمكن أن يسخط عنه أبداً؛ لأنه العليم الخبير الذي يعلم عواقب الأمور وخواتمها.

4. نسبة الجهل إلى الله تعالى لأنه ـ في زعم الطاعنين في الصحابة ـ رضي عن أناس ارتدوا أو فسقوا وكأنه لا يعلم بما يختم لهم.

5. نسبة الجهل إلى الرسول ﷺ بالناس، ومن يصلح لحمل الأمانة والقيادة ومن لا يصلح، إذ من سمع الطعن في أبي بكر وعمر وعثمان سيتساءل كيف يكون هؤلاء مطعون في دينهم والرسول ﷺ يقربهم منه ويدنيهم حتى كان أبو بكر وعمر

(1) سورة الفتح: الآية 18.

بمثابة السمع والبصر منه الذين لا يستغني عنهما الإنسان ويعطي ابنتيه زينب وأم كلثوم لعثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

6. يلزم منه فشل الرسول ﷺ في التربية وهو أستاذ الدنيا ومعلمها على الإطلاق فتصير كل الجهود التي بذلها في تربيتهم وتهيئتهم لحمل الرسالة هباء منثوراً.

7. تكذيب الرسول ﷺ في شهادته لكثير منهم بالجنة كالعشرة المبشرين وغيرهم، وأهل بيعة الرضوان الذين قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيهم «لا يدخل النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة أحدٌ الذين بايعوا تحتها»(1).

8. الشعور باليأس والإحباط من إصلاح البشرية وعدم الثقة في المنهج النبوي وقدرته على التربية، وربما قال البعض لو كان صادقا في نبوته لكانت تعاليمه ذات تأثير.

9. كيف يكون رحمة للعالمين ولم يثبت على دينه إلا عدد قليل أربعة أو ستة كما تزعم بعض الطوائف المحسوبة على الإسلام، إلى غير ذلك من لوازم انتقاص الصحابة و الحط من قدرهم والطعن فيهم.

فهذه المخاطر وغيرها هي التي جعلت أئمة الإسلام والمسلمين ينطلقون في أي حديث عن الصحابة من النصوص القرآنية والأحاديث النبوية التي تشكل منهجا سليما للبحث في تاريخ الصحابة.

---

(1) صحيح مسلم. حديث 2496.

فهرس المصادر والمراجع

- أحكام القرآن لأبي بكر بن العربي. تحقيق علي محمد البجاوي. دار المعرفة للطباعة والنشر. بيروت لبنان.
- الآداب الشرعية للإمام الفقيه المحدث أبي عبد الله محمد بن مفلح المقدسي المتوفى سنة 763هـ تحقيق وتقديم: شعيب الأرناؤوط ـ عمر القيام. مؤسسة الرسالة.
- الاستيعاب لابن عبد البر. مطبوع بحاشية الإصابة.
- اعتقاد أهل السنة في الصحابة. د. محمد الوهيبي. توزيع وزارة الشؤون الإسلامية بالسعودية. الطبعة الثالثة 1428هـ.
- الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني، دار الكتاب العربي بيروت.
- أصول السنة لابن أبي زمنين (ت399هـ) تحقيق وتخريج وتعليق: عبد الله بن محمد البخاري. مكتبة الغرباء الأثرية.1415هـ.
- الإمامة والرد على الرافضة، لأبي نعيم الأصفهاني، تحقيق وتقديم الدكتور علي ناصر فقيهي، مكتبة العلوم والحكم المدينة المنورة، ط1، 1407هـ 1987م.
- تاريخ الأمم والملوك لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري. دار الفكر العربي بيروت.
- تبصرة الحكام في مناهج الأقضية وأصول الحكام لابن فرحون. 1986م.
- الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، تصحيح: أحمد عبد العليم البردوني. الطبعة الثانية.
- جمهرة أشعار العرب لأبي زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي. شرحه وضبطه وقدم له: الأستاذ علي فاعور. دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان.1986م.
- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء للحافظ أبي نعيم الأصفهاني (ت430هـ). دار الفكر. بيروت. لبنان.

- الدرة السنية في مقتضى المعالم السنية للأزدي. نسخة خطية.
- الرحلة العياشية لأبي سالم العياشي وضع فهارسها: محمد حجي. 1977م.
- الرسالة الوافية لأبي عمرو الداني، تحقيق: محمد بن سعيد القحطاني.دار ابن الجوزي.
- السلسلة الصحيحة للشيخ الألباني ـ المكتبة السلفيةـ الكويت. والمكتبة الإسلامية – الأردن، الطبعة الأولى 1403هـ 1983م.
- سنن الترمذي بإشراف عزت عبيد الدعاس، المكتبة الإسلامية ـ استانبول ـ تركيا.
- سنن أبي داود، تحقيق: محيي الدين عبد الحميد، المكتبة الإسلامية، استانبول تركيا.
- سنن ابن ماجة. ترقيم: فؤاد عبد الباقي. المكتبة الإسلامية ـ استانبول ـ تركيا.
- السنة لأبي بكر الخلال. تحقيق: د.عطية الزهراني، دار الراية ـ الرياض ـ الطبعة الثانية. 1415هـ/ 1994م.
- السنة لابن أبي عاصم. تخريج: الشيخ الألباني. طبعة المكتب الإسلامي. الطبعة الثانية 1413هـ/1993م.
- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي، تحقيق: د.أحمد سعد حمدان. دار طيبة للنشر والتوزيع.
- شرح زروق على الرسالة. تحقيق: أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان. ط1. 2006م/1427هـ
- شرح القصائد العشر للإمام الخطيب أبي زكريا يحيى بن علي التبريزي (ت502هـ). ضبطه وصححه الأستاذ: عبد السلام الحوفي. دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان.1987م
- شرح النووي على صحيح مسلم، دار إحياء التراث العربي.
- الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض. دار الفكر. بيروت. لبنان.
- الصارم المسلول على شاتم الرسول ﷺ، لشيخ الإسلام ابن تيمية (661ـ 728هـ) تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد. عالم الكتب 1983م.

- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان. تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة – بيروت الطبعة الثالثة سنة 1418هـ/1997م.
- صحيح ابن ماجة للشيخ الألباني. إشراف: زهير الشاويش. مكتبة التربية العربي لدول الخليج ـ الرياض، الطبعة الثالثة: 1408هـ/ 1988م.
- صحيح مسلم، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، استانبول تركيا.
- الصواعق المحرقة، لابن حجر الهيثمي. تحقيق: عبد الله التركي وكامل محمد الخراط. مؤسسة الرسالة.
- صحيح البخاري، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، استانبول تركيا.
- العواصم من القواصم. لأبي بكر بن العربي. تحقيق: محب الدين الخطيب. المكتبة العصرية . صيدا.1424هـ/2004م.
- فتح الباري لابن حجر العسقلاني. ترتيب: فؤاد عبد الباقي. مراجعة: محب الدين الخطيب. المكتبة السلفية ـ القاهرة ـ الطبعة الثالثة 1407هـ
- الفصل في الملل والأهواء والنحل، لابن حزم، تحقيق: د.محمد إبراهيم نصير، ود.عبد الرحمن عميرة، شركة مكتبات عكاظ للنشر والتوزيع، الرياض ط1: 1402هـ/1982م.
- كشف الأسرار للخميني، تقديم: د.محمد أحمد الخطيب. دار عمار للنشر والتوزيع، عمان. الأردن. ط1. 1408هـ/1988م.
- الكفاية في علم الرواية للخطيب البغدادي، مراجعة: عبد الحليم محمد عبدالحليم، وعبد الرحمن حسن محمود، نشر دار الكتب الحديثة القاهرة، مطبعة دار التراث العربي ط2.
- متن الرسالة بشرح عبد المجيد الأزهري. دار العلم للجميع.
- مجمع الأمثال للميداني. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. مطبعة عيسى البابي الحلبي.
- مسند الإمام أحمد بن حنبل، المكتب الإسلامي ودار صادر بيروت.